ذكر أمر الفيل

لما دام ملك أبرهة باليمن وتمكن به، بنى القليس[١] بصنعاء، وهي كنيسة لم ير مثلها في زمانها بشيء من الأرض، ثم كتب إلى النجاشي[1] : إني قد بنيت لك كنيسة لم ير مثلها، ولست بمنتهٍ حتى أصرف إليها حاج العرب[٢].

فلما تحدثت العرب بذلك غضب رجل من النسأة من بني فقيم، فخرج حتى أتاها، فقعد فيها وتغوَّط، ثم لحق بأهله، فأخبر بذلك أبرهة، وقيل له: إنه فِعْل رجلٍ من أهل البيت الذي تحجه العرب بمكة غضب لمَّا سمع أنك تريد صرف الحجاج عنه، ففعل هذا. فغضب أبرهة، وحلف ليسيرن إلى البيت فيهدمه[٣].

[2]وأمر[2] الحبشة[3] فتجهزت، وخرج معه بالفيل واسمه: محمود، وقيل: كان معه ثلاثة عشر فيلاً، وهي تتبع محموداً، وإنما وحّد الله سبحانه الفيل؛ لأنه عنى كبيرها محموداً، وقيل في عددهم غير ذلك.

فلما سار سمعت العرب به[4] فأعظموه، ورأوا جهاده حقاً عليهم، فخرج عليه رجل من أشراف اليمن، يقال له: ذو نفر وقاتله، فهزم ذو نفر وأخذ أسيراً، فأراد قتله، ثم تركه مجبوساً عنده، ثم مضى على وجهه، فخرج عليه نفيل بن حبيب الخثعمي فقاتله، فانهزم نفيل وأُخذ أسيراً، فضمن لأبرهة أن يدلَّه على الطريق، فتركه وسار حتى إذا مرَّ على الطائف بعثت معه ثقيف أبا رغالٍ يدله على الطريق حتى أنزله بالمغمس، فلما نزله مات أبو رغالٍ، فرجمت

---

(١) القليس: سمّيت الكنيسة القليس لارتفاع بنائها وعلوها.

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٣٠)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٥٦٥)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (٢/ ١٢٢)، وذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٢/ ٧١)، وذكره ابن هشام في «السيرة النبوية» عن ابن إسحاق (١/ ٣٩).

(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٣١)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (٢/ ١٢٢)، وذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٢/ ٧٢).

---

(1) في المخطوطة: النجاشي ملك الحبشة.

(2-2) في المخطوطة: فأمر.

(3) في المخطوطة: بالحبشة.

(4) في المخطوطة: بذلك.

العرب قبره، فهو القبر الذي يرجم[١].

وبعث أبرهة الأسود بن مقصود إلى مكة، فساق أموال أهلها، وأصاب فيها مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم، ثم أرسل أبرهة حناطة الحميري إلى مكة، فقال: سل عن سيد قريش، وقال له: إني لم آت لحربكم، إنما جئت لهدم هذا البيت، فإن لم تمنعوا عنه فلا حاجة لي بقتالكم[٢].

ج١/٢٦٠/ط فلما بلغ عبد المطلب ما أمره، قال له: والله ما نريد حربه، هذا بيت الله وبيت/ خليله إبراهيم، فإن يمنعه فهو يمنع بيته وحرمه، وإن يخل بينه وبينه فوالله ما عندنا من دفع، فقال [له]: انطلقوا[1] معي إلى الملك.

فانطلق معه عبد المطلب حتى أتى العسكر، فسأل عن ذي نفر، وكان له صديقاً، فدل عليه، وهو في محبسه، فقال له: هل عندك غناء فيما نزل بنا؟ فقال: وما غناء[2] رجل أسير بيدي ملك ينتظر أن يقتله؟ ولكن أنيس سائس الفيل صديق لي فأوصيه بك وأعظم حقك، وأسأله أن يستأذن لك على الملك، فتكلمه بما تريد، ويشفع لك عنده إن قدر، قال: حسبي فبعث ذو نفر إلى أنيس، فحضره[3] وأوصاه بعبد المطلب، وأعلمه أنه سيد قريش. فكلم أنيس أبرهة وقال: هذا سيد قريش يستأذن، فأذن له، وكان عبد المطلب رجلاً عظيماً جليلاً وسيماً، فلما رآه أبرهة أجلّه وأكرمه، ونزل عن سريره إليه، وجلس معه على بساط، وأجلسه إلى جنبه[4] وقال [5]لترجمانه: قل له:[5] ما حاجتك[6]؟ فقال [له الترجمان ذلك، فقال عبد المطلب]: حاجتي أن يرد علي مائتي بعير أصابها لي، فقال أبرهة لترجمانه، قل له: قد كنت أعجبتني حين رأيتك، ثم زهدت فيك حين كلمتني، أتكلمني في إبلك وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه؟ قال عبد المطلب: أنا ربّ الإبل، وللبيت ربّ يمنعه، قال: ما كان ليمنع مني، وأمر برد إبله[٣].

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٣٢)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٥٦٦)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (٢/ ١٢٣)، وذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٢/ ٧٢)، وذكره ابن هشام في «السيرة النبوية» عن ابن إسحاق (١/ ٣٩، ٤٠).

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٣٢، ١٣٣)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٥٦٧)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (٢/ ١٢٣)، وذكره ابن هشام في «السيرة النبوية» عن ابن إسحاق (١/ ٤٠).

(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٣٤)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٥٦٧، ٥٦٨)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (٢/ ١٢٤، ١٢٥)، وذكره ابن هشام في «السيرة النبوية» عن ابن إسحاق (١/ ٤١، ٤٢).

---

(1) في المخطوطة: فأنطلق.
(2) في المخطوطة: غنى.
(3) في المخطوطة: فأحضره.
(4) في المخطوطة: جانبه.
(5-5) في المخطوطة: ترجمانه.
(6) في المخطوطة: حاجتك إلى الملك.

فلما أخذها قلدها وجعلها هدياً، وبثها في الحرم، لكي يصاب منها شيء فيغضب الله. وانصرف عبد المطلب إلى قريش وأخبرهم الخبر، وأمرهم بالخروج معه من مكة، والتحرز في رؤوس الجبال خوفاً من معرة الجيش، ثم قام عبد المطلب، فأخذ بحلقة باب الكعبة، وقام معه نفر من قريش/ يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة، فقال عبد المطلب، وهو آخذ بحلقة باب الكعبة[1]: ج١/٦٤أ

يا رب لا أرجو لهم سواكا ... يا رب فامنع منهم حماكا
إن عدوَّ البيت من عاداكا ... امنعهم أن يخربوا فناكا

وقال أيضاً:

لا هم إن العبد يمـ ... ـنع رحله فامنع رحالك
لا يغلبن صليبهم ... ومحالهم عدواً محالك
ولأن فعلت فإنه ... أمر تتم به فعالك
أنت الذي إن جاء با ... غٍ نرتجيك له فذالك[1]
ولوا ولم يحووا سوى ... خزي وتهلكهم هنالك
لم أستمع يوماً بأر ... جس منهم يبغوا قتالك/ ج١/٢٦١/ط
جروا جموعَ بلادهم ... والفيلَ كي يسبوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم ... جهلاً وما رقبوا جلالك
[إن كنت تاركهم ... وكعبتنا فامر ما بدا لك][2]

ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة، وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شعف الجبال، فتحرزوا فيها ينتظرون ما يفعل أبرهة بمكة إذا دخل، فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة، وعبى جيشه، وهيأ فيله[2]، وكان اسمه[3] محموداً وأبرهة مجمعٌ[4] لهدم البيت والعود إلى اليمن، فلما وجهوا الفيل أقبل نفيل بن حبيب الخثعمي فمسك بأذنه، وقال: ارجع محمود، ارجع راشداً من حيث جئت، فإنك في بلد الله الحرام!، ثم أرسل أذنه،

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٣٤)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٥٦٨)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (٢/ ١٢٥، ١٢٦)، وذكره ابن هشام في «السيرة النبوية» عن ابن إسحاق (١/ ٤٢، ٤٣).

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٣٥)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٥٦٨)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (٢/ ١٢٥، ١٢٦)، وذكره ابن هشام في «السيرة النبوية» عن ابن إسحاق (١/ ٤٣).

(1) في المخطوطة: كذلك.
(2) في المخطوطة: الفيل.
(3) في المخطوطة: اسم الفيل.
(4) في المخطوطة: جمع.

فألقى الفيل نفسه إلى الأرض، واشتد نفيل فصعد الجبل، فضربوا الفيل، فأبى، فوجهوه راجعاً إلى اليمن، فقام يهرول، ووجهوه إلى الشام ففعل كذلك، ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى مكة فسقط إلى الأرض، وأرسل الله عليهم طيراً أبابيل من البحر أمثال[1] الخطاطيف، مع كل طير منها ثلاثة أحجار تحملها، حجر في منقاره، وحجران في رجليه، فقذفتهم بها، وهي مثل الحمص والعدس، لا تصيب أحداً منهم إلا هلك؛ وليس كلهم أصابت، وأرسل الله سيلاً ألقاهم في البحر، وخرج من سلم مع أبرهة هارباً، يبتدرون الطريق الذي جاؤوا منه، ويسألون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق إلى اليمن، فقال نفيل حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمته:

أين المفر والإله الطالب ... والأشرم المغلوب غير الغالب

وقال أيضاً:

ألا حييت عنا يا ردينا ... نعمناكم مع الإصباح عينا
أتانا قابسٌ منكم عشاءً ... فلم يقدر لقابسكم لدينا
ردينة لو رأيت ولا تريه ... لدى جنب المحصب ما رأينا
إذاً لعذرتني وحمدت رأيي ... ولم تأسي لما قد فاتَ بينا
حمدت الله إذ عاينت طيراً ... وخفت حجارة تلقى علينا
وكل القوم يسأل عن نفيلٍ ... كأن عليّ للحبشان دَينا[1]

فخرجوا يتساقطون بكل منهل، وأصيب أبرهة في جسده، فسقطت[2] أعضاؤه عضواً عضواً، حتى قدموا به صنعاء، وهو مثل الفرخ، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه[٢].

ج١/٢٦٢/ط فلما هلك/ ملك ابنه يكسوم بن أبرهة، وبه كان يكنى، وذلت حمير واليمن له، ونكحت الحبشة نساءهم، وقتلوا رجالهم، واتخذوا أبناءهم تراجمة بينهم وبين العرب.

[ولما أهلك الله الحبشة، وعاد ملكهم ومعه من سلم منهم، ونزل عبد المطلب من

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٣٦)، وذكره ابن هشام في «السيرة النبوية» عن ابن إسحاق (١/ ٤٤، ٤٥)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٥٦٨، ٥٦٩)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (٢/ ١٢٦، ١٢٧).

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٣٧)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٥٦٩)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (٢/ ١٢٧)، وذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٢/ ٧٣)، وذكره ابن هشام في «السيرة النبوية» عن ابن إسحاق (١/ ٤٥).

(1) في المخطوطة: مثل.
(2) في المخطوطة: وسقطت.

الغد إليهم لينظر ما يصنعون، ومعه أبو مسعود الثقفي لم يسمعا حساً، فدخل معسكرهم فرأيا القوم هلكى، فاحتفر عبد المطلب حفرتين ملأهما ذهباً وجوهراً له ولأبي مسعود، ونادى في الناس فتراجعوا، فأصابوا من فضلهما شيئاً كثيراً، فبقي عبد المطلب في غنىً من ذلك المال حتى مات، وبعث الله السَّيل فألقى الحبشة في البحر[١].

وقال كثير من أهل السِّير: أن الحصبة والجدري أول ما رؤيا في العرب بعد الفيل، وكذلك قالوا: إن العشر، والحرمل، والشيح، لم تعرف بأرض العرب إلا بعد الفيل[٢].

وهذا مما لا ينبغي أن يعرج عليه، فإن هذه الأمراض والأشجار قبل الفيل، مذ خلق الله العالم] ولما رد الله الحبشة عن الكعبة وأصابهم ما أصابهم عظمت العرب قريشاً، وقالوا[1]: أهل الله، قاتل عنهم، ثم مات يكسوم، وملك بعده أخوه مسروق[٣].

ذكر عود اليمن إلى حمير وإخراج الحبشة عنه

لما هلك يكسوم ملك اليمن أخوه مسروق بن أبرهة، وهو الذي قتله وهرز، فلما اشتد البلاء على أهل اليمن خرج سيف بن ذي يزن، وكنيته: أبو مرة[٤].

وقيل: كنية ذي يزن أبو مرة، حتى قدم على قيصر، وتنكب كسرى لإبطائه عن نصر أبيه، فإنه كان قصد كسرى أنو شروان لما أخذت زوجته يستنصره على الحبشة، فوعده، فأقام ذو يزن عنده، فمات على بابه، وكان ابنه سيف مع أمه في حجر أبرهة، وهو يحسب أنه ابنه، فسَّبه ولد لأبرهة وسبَّ أباه، فسأل أمه عن أبيه، فأعلمته خبره بعد مراجعة بينهما، فأقام حتى مات أبرهة، وابنه يكسوم.

ثم سار إلى الروم، فلم يجد عند ملكهم[2] ما يحب، لموافقته الحبشة في الدين،

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٣٨)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٥٧٠)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (٢/ ١٢٨)، وذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٢/ ٧٣).

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٣٩)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٥٦٩).

(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٣٩)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٥٧٣)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (٢/ ١٢٩)، وذكره ابن هشام في «السيرة النبوية» عن ابن إسحاق (١/ ٥٢).

(٤) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٣٩).

(1) في المخطوطة: قال.

(2) في المخطوطة: ملك الروم.

فعاد إلى كسرى، فاعترضه يوماً وقد ركب، فقال له: إنَّ لي عندك ميراثاً، فدعا به كسرى لما نزل فقال[1] له: من أنت وما ميراثك؟ قال[2]: أنا ابن الشيخ اليماني الذي[3] وعدته النصرة، فمات ببابك، فتلك العدة حق لي وميراث، فرقَّ كسرى له، [وقال له]: بعدت بلادك عنا، وقلَّ خيرها، والمسلك إليها وعرٌ، ولست أغرر بجيشي، وأمر له بمال، فخرج وجعل ينثر الدراهم، فانتهبها الناس، فسمع كسرى، فسأله ما حمله على ذلك، فقال: لم آتك للمال وإنما جئتك للرجال، ولتمنعني من الذل والهوان، [4]وإن[4] جبال بلادنا ذهب وفضة، فأعجب كسرى بقوله، وقال: يظن/ المسكين أنه أعرف ببلاده مني[1]. ج١/٢٦٣/ط

واستشار وزراءه في توجيه الجند معه، فقال له موبذان موبذ: أيها الملك، إن لهذا الغلام حقاً بنزوعه إليك، وموت أبيه ببابك، وما تقدم/ من عدته بالنصرة، وفي سجونك رجال ذوو نجدة وبأس، فلو أن الملك وجهَّهم معه، فإن أصابوا ظفراً كان للملك، وإن هلكوا، فقد استراح وأراح أهل مملكته منهم، فقال كسرى: هذا الرأي، فأمر بمن في السجون، فأحضروا، فكانوا ثمانمائة، فقوَّد عليهم قائداً من أساورته، يقال له: وهرز، وقيل: بل كان من أهل السجون، سخط عليه كسرى لحدثٍ أحدثه فحبسه، وكان يُقَيَّد بألف أسوار، وأمر بحملهم في ثمان سفن، فركبوا البحر، فغرق سفينتان، وخرجوا بساحل حضرموت. ج١/٦٤/ب

ولحق بابن ذي يزن بشرٌ كثير، وسار إليهم مسروق في مائة ألف من الحبشة وحمير والأعراب، وجعل وهرز البحر وراء ظهره، وأحرق السفن لئلا يطمع أصحابه في النجاة[2].

وأحرق كل ما معهم من زاد وكسوة، إلا ما أكلوا وما على أبدانهم، وقال لأصحابه: إنما أحرقت ذلك لئلا يأخذه الحبشة إن ظفروا بكم، وإن نحن ظفرنا بهم فسنأخذ أضعافه، فإن كنتم تقاتلون معي وتصبرون أعلمتموني ذلك، وإن كنتم لا تفعلون اعتمدت على سيفي حتى يخرج من ظهري، فانظروا ما حالكم إذا فعل رئيسكم هذا بنفسه، قالوا: بل نقاتل معك حتى نموت أو نظفر[3].

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٤٠) وذكره ابن كثير في البداية والنهاية» (٢/ ٥٧٣)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (٢/ ١٣٠، ١٣١)، وذكره ابن هشام في «السيرة النبوية» عن ابن إسحاق (١/ ٥٣).

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٤٤، ١٤٥).

(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٤٦).

---

(1) في المخطوطة: وقال.

(2) في المخطوطة: فقال.

(3) في المخطوطة: التي.

(4-4) في المخطوطة: فإن.

وقال لسيف بن ذي يزن: ما عندك؟ قال: ما شئت من رجل عربي، وسيف عربي، ثم إجعل رجلي مع رجلك حتى نموت جميعاً أو نظفر جميعاً، قال: أنصفت.

فجمع إليه سيف من استطاع من قومه، فكان أول من لحقه السكاسك من كندة. وسمع [بهم] مسروق بن أبرهة، فجمع إليه جنده، [فعبى وهرز] أصحابه، وأمرهم أن يوتروا قسيهم، وقال: إذا أمرتكم بالرمي فارموا رشقاً، وأقبل مسروق في جمع لا يرى طرفاه، وهو على فيل، وعلى رأسه تاج، وبين عينيه ياقوتة حمراء مثل البيضة، لا يرى دون الظفر شيئاً، وكان وهرز كلّ[1] بصرُه، فقال[2]: أروني عظيمهم، فقالوا[3]: هذا صاحب الفيل، ثم ركب فرساً، فقالوا: ركب فرساً، ثم انتقل إلى بغلة، فقالوا: ركب بغلة، فقال وهرز: ذلّ وذلّ ملكه! وقال وهرز: ارفعوا لي حاجبي، وكانا قد سقطا على عينيه من الكبر، فرفعوهما له بعصابة، ثم جعل نشابة في كبد قوسه، وقال: أشيروا إلى مسروق، فأشاروا إليه، فقال لهم: سأرميه، فإن رأيتم أصحابه وقوفاً لم يتحركوا فاثبتوا حتى أوذنكم، فإني قد أخطأت الرجل، وإن رأيتموهم قد استداروا ولاذوا به، فقد أصبته، فاحملوا عليهم.

ثم رماه، فأصاب السهم بين/ عينيه، ورمى أصحابه، فقتل مسروق وجماعة من أصحابه، فاستدارت الحبشة بمسروق، وقد سقط عن دابته، وحملت الفرس عليهم، فلم يكن دون الهزيمة شيء، وغنم الفرس من عسكرهم ما لا يحد ولا يحصى، وقال وهرز: كفوا عن العرب واقتلوا السودان، ولا تبقوا منهم أحداً. وهرب رجل من الأعراب يوماً وليلة، ثم التفت فرأى في جعبته نشابة، فقال: لأمك الويل! أبعد طول[4] مسير! وسار وهرز حتى دخل صنعاء، وغلب على بلاد اليمن، وأرسل عماله في المخاليف[1].

ج١/٢٦٤/ط

وكان مدة ملك الحبشة اليمن اثنتين وسبعين سنة، توارث [ذلك] منهم أربعة ملوك: أرياط، ثم أبرهة، ثم ابنه يكسوم، ثم مسروق بن أبرهة، وقيل: كان ملكهم نحو اثنتين وثلاثين سنة، وقيل غير ذلك، والأول أصح[2].

فلما ملك وهرز اليمن، أرسل إلى كسرى يعلمه بذلك[5]، وبعث إليه بأموال، وكتب

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٤٦، ١٤٧)، وذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٢/ ٧٤، ٧٥).
(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٣٩).

(1) في المخطوطة: قد كل.
(2) في المخطوطة: قال.
(3) في المخطوطة: فقال.
(4) في المخطوطة: أم طول.
(5) في المخطوطة: ذلك.

إليه كسرى يأمره أن يملك سيف بن ذي يزن، وبعضهم يقول معد يكرب بن سيف بن يزن على اليمن وأرضها، وفرض عليه كسرى جزية وخراجاً معلوماً في كل عام، فملكه وهرز، وانصرف إلى كسرى، وأقام سيف على اليمن ملكاً يقتل الحبشة، ويبقر بطون الحبالى عن الحمل، ولم يترك منهم إلا القليل[1]، جعلهم خولاً، فاتخذ منهم جمازين يسعون بين يديه بالحراب، فمكث غير كثير، ثم [إنه] خرج يوماً والحبشة يسعون بين يديه بحرابهم فضربوه بالحراب حتى قتلوه، فكان ملكه خمس عشرة سنة، ووثب بهم رجل من الحبشة، فقتل باليمن وأفسد[2].

فلما بلغ ذلك كسرى بعث إليهم وهرز في أربعة آلاف فارس، وأمره أن لا يترك باليمن أسود، ولا ولد عربية من أسود، ومن شرك فيه أسود قتله[1].

[3]وأقبل[3] حتى دخل اليمن، ففعل[4] ما أمره، وكتب إلى كسرى يخبره، فأقره على ملك اليمن، فكان يجيبها لكسرى حتى هلك، وأمر بعده كسرى ابنه المرزبان بن وهرز حتى هلك، ثم أمّر بعده كسرى التينجان بن المرزبان، ثم أمرَّ بعده حرحرة بن التينجان بن المرزبان، ثم إن كسرى أبرويز غضب عليه، فأحضره من اليمن، فلما قدم تلقاه رجل من عظماء الفرس، فألقى عليه سيفاً كان لأبي كسرى، فأجاره كسرى بذلك من القتل، وعزله عن اليمن، وبعث بأذان إلى اليمن، فلم يزل عليها حتى بعث الله نبيه محمداً ﷺ[2].

ج١/٦٥/أ وقيل: إن أنوشروان استعمل بعد وهرز زرين، وكان مسرفاً[5]، إذا أراد أن يركب قتل قتيلاً، ثم سار[6] بين أوصاله، فمات أنوشروان وهو على/ اليمن، فعزله ابنه هرمز، وقد ج١/٢٦٥/ط اختلفوا في ولاة اليمن للأكاسرة اختلافاً كثيراً، لم أر لذكره فائدة/.

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٤٨) وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (٢/ ١٣٤)، وذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٢/ ٧٥).

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٤٨)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٥٧٦)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (٢/ ١٣٤)، وذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٢/ ٧٦)، وذكره ابن هشام في «السيرة النبوية» عن ابن إسحاق (١/ ٥٨).

(1) في المخطوطة: قليلاً.
(2) في المخطوطة: فشل.
(3-3) في المخطوطة: فأقبل.
(4) في المخطوطة: بفعل.
(5) في المخطوطة: سروفاً.
(6) في المخطوطة: صار.

ذكر ما أحدثه قريش بعد الفيل

لما كان من أمر أصحاب الفيل ما ذكرناه عظمت قريش عند العرب، فقالوا لهم: أهل الله وقطنه يحامي عنهم، فاجتمعت قريش بينها، وقالوا: نحن بنو إبراهيم عليه السلام، وأهل الحرم وولاة البيت وقاطنو مكة، فليس لأحد من العرب مثل منزلتنا، ولا يعرف العرب لأحد مثل ما يعرف لنا، فهلموا فلنتفق على [ائتلاف] أننا لا نعظِّم شيئاً من الحلِّ كما يعظَّم الحرم، فإننا إذا فعلنا ذلك استخفت العرب بنا وبحرمنا، وقالوا[1]: قد عظمت قريش من الحل، مثل ما عظمت من الحرم، فتركوا الوقوف بعرفة والإفاضة منها، وهم يعرفون ويقرون أنها من المشاعر والحج ودين إبراهيم، ويرى سائر العرب أن يقفوا عليها وأن يفيضوا منها، وقالوا: نحن أهل الحرم، فلا نعظِّم غيره، ونحن الحمس؛ وأصل الحماسة الشدة أنهم تشددوا في دينهم، وجعلوا لمن ولد واحدة من نسائهم من العرب ساكني الحلّ، مثل مالهم بولادتهم، ودخل معهم في ذلك كنانة وخزاعة وعامر لولادةٍ لهم، ثم ابتدعوا، فقالوا: لا ينبغي للحمس أن يعملوا الأقط، ولا يسلؤوا السمن وهم حرم، ولا يدخلوا بيتاً من شعر، ولا يستظلوا إلا في بيوت[2] الأدم ما كانوا حرماً.

وقالوا: لا ينبغي لأهل الحلِّ أن يأكلوا من طعام جاؤوا به معهم من الحلِّ في الحرم، إذا جاؤوا حجاجاً أو عماراً، ولا يطوفوا بالبيت طوافهم إذا قدموا إلا في ثياب الحمس، فإن لم يجدوا طافوا بالبيت عراة، فإن أنف أحد من عظمائهم أن يطوف عرياناً إذا لم يجد ثياب الحمس[3] فطاف في ثيابه، ألقاها إذا[4] فرغ من الطواف ولا يمسها[5] هو، ولا أحد غيره، وكانوا يسمونها: اللقى. فدانت العرب[6] لهم بذلك، فكانوا يطوفون كما شرعوا لهم، ويتركون أزوادهم التي جاؤوا بها من الحلِّ، ويشترون من طعام الحرم ويأكلونه، هذا في الرجال، وأما النساء فكانت المرأة تضع ثيابها كلها إلا درعها مفرجاً، ثم تطوف فيه وتقول:

[اليوم يبدو بعضه أو كله ... وما بدا منه فلا أحلُّه]

فكانوا كذلك حتى بعث الله محمداً ﷺ، [فنسخه] فأفاض من عرفات، وطاف الحجاج بالثياب التي معهم من الحلِّ، وأكلوا من طعام الحلِّ، في الحرم أيام الحج،

---

(1) في المخطوطة: قالت.
(2) في المخطوطة: بيت.
(3) في المخطوطة: حمس.
(4) في المخطوطة: فإذا.
(5) في المخطوطة: مسها.
(6) في المخطوطة: بالعرب.

وأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1]، أراد بالناس العرب، أمر قريشاً أن يفيضوا من عرفات، وأنزل الله تعالى في اللباس والطعام الذي من الحلّ وتركهم إياه في الحرم: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ إلى قوله: ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾. ج١/٢٦٦ط

ذكر حلف المطيبين والأحلاف

قد ذكرنا ما كان قصيٌّ أعطى ولده عبد الدار من الحجابة والسقاية والرفادة، والندوة واللواء، ثم إن هاشماً وعبد شمس والمطلب ونوفلاً بني عبد مناف بن قصي رأوا أنهم أحق بذلك من بني عبد الدار، لشرفهم عليه، ولفضلهم في قومهم، وأرادوا أخذ ذلك منهم، فتفرقت عند ذلك قريش، كانت طائفة مع بني عبد مناف، وطائفة مع بني عبد الدار يرون أنه لا يجوز أن يؤخذ منهم ما كان قصيّ جعله لهم، إذ كان أمر قصيّ فيهم شرعاً متبعاً، معرفةً منهم لفضله وتيمناً بأمره، وكان صاحب أمر بني عبد مناف بن قصيّ عبد شمس؛ لأنه كان أكبرهم.

وكان صاحب بني عبد الدار الذي قام في المنع عنهم عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، فاجتمع بنو أسد بن عبد العزى بن قصيّ، وبنو زهرة بن كلاب، وبنو تيم بن مرة، وبنو الحارث بن فهر بن مالك بن النضر مع بني عبد مناف، واجتمع بنو مخزوم، وبنو سهم، وبنو جمح، وبنو عدي بن كعب، مع بني عبد الدار، وخرجت [عامر] بن لؤي ومحارب بن فهر من ذلك، فلم يكونوا مع أحد الفريقين، وعقد كل طائفة بينهم حلفاً مؤكداً، على أن لا يتخاذلوا، ولا يسلم بعضهم بعضاً ما بلّ بحرٌ صوفةً. فأخرجت بنو عبد مناف بن قصيّ جفنة مملوءة طيباً.

قيل: إن بعض نساء بني عبد مناف أخرجتها لهم، فوضعوها في المسجد، وغمسوا أيديهم فيها، وتعاهدوا وتعاقدوا، ومسحوا الكعبة بأيديهم توكيداً على أنفسهم، فسموا بذلك: المطيبين.

وتعاقد بنو عبد الدار ومن معهم من القبائل عند الكعبة، على أن لا يتخاذلوا، ولا يسلم بعضهم بعضاً، فسموا: الأحلاف، ثم تصافوا للقتال، وأجمعوا على الحرب، فبينما

(١) سورة: البقرة، الآية: ١٩٩.

هم على ذلك إذ تداعوا للصلح، على أن يعطوا بني عبد مناف السقاية والرفادة، وأن تكون الحجابة واللواء والندوة لبني عبد الدار، فاصطلحوا، ورضي كل واحد من الفريقين بذلك، وتحاجزوا عن الحرب، وثبت كل قوم مع من حالفوا حتى جاء الإسلام وهم على ذلك، فقال رسول الله ﷺ: «**ما كان/ من حلف في الجاهلية، فإن الإسلام لم يزده إلا شدة ولا حلف في الإسلام**»[١]. ج١/٦٥/ب

فولي السقاية والرفادة هاشم بن عبد منافٍ، لأن عبد شمس كان كثير الأسفار، قليل المال، كثير العيال، وكان هاشم موسراً جواداً، وكان ينبغي أن نذكر هذا قبل الفيل وما أحدثه قريش، وإنما أخرناه للزوم تلك الحوادث بعضها ببعض/. ج١/٢٦٧/ط

ذكر ما فعله كسرى في أمر الخراج والجند

كان ملوك الفرس يأخذون من غلات كورهم قبل ملك كسرى أنوشروان في خراجها، من بعضها: الثلث، ومن بعضها: الربع، وكذلك الخمس والسدس، على قدر شربها وعمارتها، ومن الجزية شيئاً معلوماً، فأمر الملك قباذ بمسح الأرضين ليصح الخراج عليها، فمات قبل الفراغ من ذلك، فلما ملك أنوشروان أمر باستتمام ذلك، ووضع الخراج على الحنطة والشعير والكرم والرطب والنخل والزيتون والأرز، على كل نوع من هذه الأنواع شيئاً معلوماً، ويؤخذ في السنة في ثلاثة أنجم، وهي الوضائع[٢] التي اقتدى بها عمر [بن الخطاب.

وكتب كسرى إلى القضاة في البلاد نسخةً بالخراج، ليمتنع العمال من الزيادة عليه، وأمر أن يوضع] عمن أصابت غلَّته جائحة بقدر جائحته[٣].

وألزموا الناس الجزية، ما خلا العظماء وأهل البيوتات والجند والهرابذة والكتَّاب، ومن في خدمة الملك، كل إنسان على قدره، اثني[1] عشر درهماً، وثمانية دراهم، وستة دراهم، وأربعة دراهم، وأسقطها [عمر] عمن لم يبلغ عشرين سنة، أو جاوز خمسين سنة[٤].

---

(١) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (الحديث: ٦/ ٣٣٥).

(٢) الوضائع: ما يأخذه السلطان من الخراج والعشور.

(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٥٠).

(٤) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٥١)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (٢/ ١٣٥).

---

(1) في لمخطوطة: من اثني.

ثم إنَّ كسرى ولَّى رجلاً من الكتَّاب، من الكفاة والنبلاء، اسمه: بابك، عرض جيشه، فطلب من كسرى[1] التمكن من شغله إلى ذلك، فتقدم ببناء مصطبة موضع عرض الجيش وفرشها، ثم نادى أن يحضر الجند بسلاحهم وكراعهم للعرض، فحضروا، فحيث لم ير معهم كسرى أمرهم بالانصراف، فعل ذلك يومين، [ثم أمر] فنودي في اليوم الثالث أن لا يتخلف أحد، ولا من أكرم بتاج، فسمع كسرى، فحضر وقد لبس التاج والسلاح، ثم[2] أتى بابك ليعرض عليه، فرأى[3] سلاحه تاماً، ما عدا وترين للقوس، كان عادتهم أن يستظهروا بهما، فلم يرهما بابك معه، فلم يجز على اسمه، وقال له: هلم كلما يلزمك. فذكر كسرى الوترين فتعلقهما[4]، ثم نادى منادي بابك، وقال: للكمي السيد، سيد الكماة، أربعة آلاف درهم، وأجاز على اسمه. فلما قام عن مجلسه حضر عند كسرى يعتذر إليه من غلظته عليه، وذكر له أن أمره لا يتم إلا بما فعل، فقال كسرى: ما غُلِظ علينا أمرٌ نريد به إصلاح دولتنا[1].

ومن كلام كسرى: الشكر والنعمة [عدلان] ككفتي الميزان، أيهما رجح بصاحبه احتاج الأخف[5] [إلى] أن يزاد فيه حتى يعادل صاحبه، فإذا كانت النعم كثيرة والشكر قليلاً انقطع الحمد، فكثير النعم يحتاج إلى كثير من الشكر، وكلما زيد في الشكر ازدادت[6] النعم،/ وجاوزته[7]، ونظرت في الشكر فوجدت بعضه بالقول وبعضه بالفعل، ونظرت أحب الأعمال إلى الله فوجدته الشيء الذي [8]أقام به[8] السموات والأرض، وأرسى به الجبال، وأجرى به الأنهار، وبرأ به البرية، وهو الحق والعدل، فلزمته، ورأيت ثمرة الحق والعدل عمارة البلدان التي بها قوام الحياة للناس والدواب والطير وجميع الحيوانات. ج١/٢٦٨/ط

ولما نظرت في ذلك وجدت المقاتلة اجراء لأهل العمارة، وأهل العمارة اجراء للمقاتلة، فأما المقاتلة فإنهم يطلبون أُجورهم، من أهل الخراج وسكان البلدان لمدافعتهم عنهم ومجاهدتهم من ورائهم، فحق على أهل العمارة أن يوفوهم أجورهم، فإن العمارة والأمن والسلامة في النفس والمال لا يتم إلا بهم، ورأيت أن المقاتلة لا يتم لهم المقام والأكل والشرب وتثمير الأموال والأولاد إلا بأهل الخراج والعمارة، فأخذت للمقاتلة من

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٥٢، ١٥٣)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (٢/ ١٣٦).

(1) في المخطوطة: الكسرى.
(2) في المخطوطة: و.
(3) في المخطوطة: فرأى بابك.
(4) في المخطوطة: ففعلهما.
(5) في المخطوطة: الأخفت.
(6) في المخطوطة: زيدت.
(7) في المخطوطة: وجاوزته النعم.
(8-8) في المخطوطة: قامت.

أهل الخراج ما يقوم بأودهم، وتركت على أهل الخراج من مستغلاتهم ما يقوم بمؤونتهم وعمارتهم[1]، ولم أجحف بواحدة من الجانبين، ورأيت المقاتلة وأهل الخراج كالعينين المبصرتين، واليدين المتساعدتين، والرجلين، على أيهما دخل الضرر تعدى إلى الأخرى[2]، ونظرنا في سِيَر آبائنا، فلم نترك منها شيئاً يقترن بالثواب من الله، والذكر الجميل بين الناس، والمصلحة الشاملة للجند والرعية إلا اعتمدناه، ولا فساداً إلا أعرضنا عنه، ولم يدعنا إلى حب ما لا خير فيه حب الآباء، ونظرت في سِيَر أهل الهند والروم [3]وأخذنا[3] محمودها، ولم تنازعنا أنفسنا إلى ما تميل إليه أهواؤنا، وكتبنا بذلك إلى جميع أصحابنا ونوابنا في سائر البلدان.

فانظر إلى هذا الكلام الذي يدل على زيادة العلم وتوفر العقل، والقدرة على منع النفس، ومن كان هذا حاله استحق أن يضرب به المثل في العدل إلى أن تقوم الساعة.

وكان لكسرى/ أولاد متأدبون، فجعل الملك من بعده لابنه هرمز، وكان مولد ج١/٦٦أ رسول الله ﷺ عام الفيل، وذلك لمضي اثنتين وأربعين سنة من ملكه، وفي هذا العام كان يوم ذي جبلة، وهو يوم من أيام العرب المذكورة[1].

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٥٤).

(1) في المخطوطة: بعمادتهم.
(2) في المخطوطة: الآخر.
(3-3) في المخطوطة: فأخذنا.

ذكر مولد رسول الله ﷺ

قال قيس بن مخرمة، وقباث بن أشيم، وابن عباس، وابن إسحاق: إن رسول الله ﷺ ولد عام الفيل.

قال ابن الكلبي: ولد عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله ﷺ، لأربع وعشرين سنة مضت من سلطان كسرى أنوشروان، وولد رسول الله ﷺ سنة اثنتين وأربعين من سلطانه[1].

ج١/٢٦٩/ط وأرسله الله تعالى لمضي اثنتين وعشرين من ملك كسرى أبرويز/ بن كسرى هرمز بن كسرى أنوشروان، وهاجر لاثنتين وثلاثين سنة مضت من ملك أبرويز.

قال ابن إسحاق: ولد رسول الله ﷺ يوم الإثنين لاثنتي عشرة [ليلة] مضت من ربيع الأول، وكان مولده بالدار التي تعرف بدار ابن يوسف.

قيل: إن رسول الله ﷺ وهبها عقيل بن أبي طالب، فلم تزل في يده حتى توفي، فباعها ولده من محمد بن يوسف أخي الحجاج، فبنى داره التي، يقال لها: دار ابن يوسف، وأدخل ذلك البيت في الدار حتى أخرجته الخيزران، فجعلته مسجداً يصلَّى فيه[2].

وقيل: ولد لعشر خلون منه، وقيل: لليلتين خلتا منه.

قال ابن إسحاق: إن آمنة ابنة وهب أم رسول الله ﷺ، كانت تحدث أنها أتيت في منامها لما حملت برسول الله ﷺ، فقيل لها: إنك حملت بسيد هذه الأمة، فإذا وقع بالأرض قولي:

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٥٤).

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٥٦)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٦٦٣)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (٢/ ٢٤٥)، وذكره ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ١٠٠، ١٠١)، وذكره ابن هشام في «السيرة النبوية» عن ابن إسحاق (١/ ١٣٠).

أعـــيـــذه بـــالـــواحـــد مـــن شـــر كـــل حـــاســـد

ثم سمّيه: محمداً، ورأت حين حملت به أنه خرج منها نورٌ رأت به قصور بُصرى [1]من أرض[1] الشام، فلما وضعته أرسلت إلى جده عبد المطلب: أنه قد ولد لك غلام فأته فانظر إليه، فنظر إليه، وحدثته بما رأت حين حملت به، وما قيل لها فيه، وما أمرت أن تسميه(١).

وقال عثمان بن أبي العاص: حدثتني أمي أنها شهدت ولادة آمنة ابنة وهب رسول الله ﷺ، فما شيء أنظر إليه من البيت إلا نور، وإني لأنظر النجوم لتدنو حتى إني لأقول لتقعن[2] [عليّ](٢).

وأول من أرضع رسول الله ﷺ ثويبة مولاة أبي لهب، بلبن ابن له، يقال له: مسروح، وكانت قد أرضعت قبله حمزة بن عبد المطلب، وأرضعت بعده أبا سلمة ابن عبد الأسد المخزومي(٣).

فكانت[3] ثويبة تأتي رسول الله ﷺ بمكة قبل أن يهاجر، فيكرمها، وتكرمها خديجة، فأرسلت إلى أبي لهب أن يبيعها إياها لتعتقها، فأبى، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة أعتقها أبو لهب، فكان رسول الله ﷺ يبعث إليها بالصلة، إلى أن بلغه خبر وفاتها منصرفه من خيبر، فسأله عن ابنها مسروح، فقيل: توفي قبلها، فسأل: هل لها من قرابة؟ فقيل: لم يبق لها أحد(٤)/ .

ج١/٢٧٠/ط

ثم أرضعت رسول الله ﷺ بعد ثويبة حليمة بنت أبي ذؤيب، واسمه: عبد الله ابن الحارث بن شجنة من بني سعد بن بكر بن هوازن، واسم زوجها الذي أرضعته بلبنه:

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٥٦)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٦٦٦)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (٢/ ٢٤٢)، وذكره ابن هشام في «السيرة النبوية» عن ابن إسحاق (١/ ١٢٩).

(٢) ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (الحديث: ٨/ ٢٢٠)، وذكره البيهقي في «دلائل النبوة» (الحديث: ١/ ١١١)، وذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٥٧)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٦٦٧)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (٢/ ٢٤٧).

(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٥٨).

(٤) ذكره ابن سعد في «طبقاته» (١/ ١٠٩).

(1-1) في المخطوطة: بأرض.

(2) في المخطوطة: ليقعن.

(3) في المخطوطة: وكانت.

الحارث بن عبد العزى، واسم إخوته من الرضاعة عبد الله، وأنيسة، وجذامة، وهي الشيماء، عرفت بذلك، وكانت الشيماء تحضنه مع أمها حليمة، وقدمت حليمة على رسول الله ﷺ بعد أن تزوج خديجة، فأكرمها ووصلها، وتوفيت قبل فتح رسول الله ﷺ مكة، [فلما فتح مكة] قدمت عليها[1] أختٌ لها، فسألها عنها، فأخبرته بموتها، فذرفت عيناه، فسألها عمن خلفت، فأخبرته، [فسألته] نحلةً [و] حاجةً فوصلها[1].

وقال عبد الله بن جعفر بن أبي طالب: كانت حليمة السعدية تحدث أنها خرجت من بلدها مع نسوة يلتمسن الرضعاء[2]، وذلك في سنة شهباء لم تبق شيئاً، قالت[2]: فخرجت على أتانٍ لنا قمراء، معنا شارفٌ لنا، والله ما نبض بقطرة، وما ننام ليلتنا أجمع من صبينا الذي معي من بكائه من الجوع، وما في ثدييَّ ما يغنيه، وما في شارفنا ما يغذوه، ولكنا نرجو الغيث والفرج، فلقد أدمت[3] أتاني بالركب حتى شق عليهم ضعفاً وعجفاً، حتى قدمنا مكة، فما منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله ﷺ، فتأباه [3]إذا قيل لها[3]: إنه يتيم، وذلك أنا إنما نرجو المعروف من أبي الصبيّ. فكنا نقول: يتيم فما عسى أن تصنع أمه وجده؟ فما بقيت امرأة معي إلا أخذت رضيعاً غيري، فلما أجمعنا الانطلاق، قلت لصاحبي، وكان معي: إني لأكره أن أرجع من بين صواحبي ولم آخذ[4] رضيعاً، والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه! قال: افعلي، فعسى أن[5] الله يجعل لنا فيه بركة، قالت[6]: فذهبت فأخذته، فلما أخذته ووضعته في حجري، أقبل عليه ثدياي مما شاء من لبن، فشرب حتى رُوِي، وشرب معه أخوه حتى رُوِي، ثم ناما، وما كان ابني ينام قبل ذلك، وقام زوجي إلى شارفنا تلك، فإذا إنها حافل، فحلب منها[7]، ثم شرب حتى روي، ثم سقاني فشربت حتى شبعنا.

قالت: [ثم خرجنا] يقول لي صاحبي: تعلمين والله يا حليمة لقد أخذت نسمةً مباركة! قلت: والله لأرجو ذلك، قالت: ثم خرجنا، فركبت أتاني وحملته عليها/، فلم يحلقني شيء من حمرهم حتى إنَّ صواحبي ليقلن لي: يا ابنة أبي ذؤيب، اربعي علينا، ج١/٦٦/ب

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/١٥٨).
(٢) الرضعاء: جمع رضيع.
(٣) أدمت: جاءت بما يذم عليه.

(1) في المخطوطة: عليه.
(2) في المخطوطة: قال.
(3-3) في المخطوطة: إذ قيل لن.
(4) في المخطوطة: أجد.
(5) في المخطوطة: أن يجعل.
(6) في المخطوطة: قال.
(7) في المخطوطة: منها شيء.

أليست هذه أتانك التي كنت خرجت عليها؟ فأقول: بلى والله لهي هي، فيقلن: إنَّ لها شأناً، ثم قدمنا منازلنا من بني سعد، وما أعلم أرضاً من أرض الله أجدب منها، فكانت غنمي تروح عليّ حين قدمنا شباعاً لبناً، فنحلب ونشرب، وما/ يحلب إنسان قطرة، ولا يجدها في ضرع، حتى إن كان الحاضر من قومنا ليقولون لرعيانهم: ويلكم أسرحوا[1] حيث يسرح راعي ابنة أبي ذؤيب! فتروح أغنامهم جياعاً ما تبض بقطرة من لبن، وتروح غنمي شباعاً لبناً، فلم نزل نتعرف البركة من الله والزيادة في الخير حتى مضت سنتان وفصلته، وكان يشب شباباً لا يشبه الغلمان، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاماً جفراً، فقدمنا به على أمه ونحن أحرص شيء على مكثه عندنا، لما كنا نرى من بركته، فكلمنا أمه في تركه عندنا، فأجابت.

ج١/٢٧١/ط

قالت: فرجعنا به، فوالله إنه بعد مقدمنا به بأشهر مر مع أخيه في بهم لنا خلف بيوتنا، إذ أتانا أخوه يشتد، فقال لي ولأبيه: ذلك أخي القرشي قد جاءه رجلان عليهما ثياب بياض فأضجعاه وشقا بطنه وهما يسوطانه! قالت: فخرجنا نشتد، فوجدناه قائماً منتقعاً وجهه، قالت: فالتزمته أنا وأبوه، وقلنا له: ما لك يا بني؟ قال: جاءني رجلان فأضجعاني فشقا بطني، فالتمسا به شيئاً لا أدري ما هو، قالت: فرجعنا إلى خبائنا، وقال لي أبوه: والله لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب، فألحقيه بأهله قبل أن يظهر ذلك، قالت: فاحتملناه فقدمنا به على أمه، فقالت: ما أقدمك يا ظئر به، وقد كنت حريصة على مكثه عندك؟ قالت: قلت: قد بلغ الله بابني، وقضيت الذي عليّ، وتخوفت عليه[2] الأحداث، فأديته إليك كما تحبين، قالت: ما هذا بشأنك؟ فأصدقيني! ولم تدعني حتى أخبرتها، قالت: فتخوفت عليه الشيطان؟ قالت: نعم، قلت: كلا والله ما للشيطان عليه سبيل، وإن لابني لشأناً أفلا أخبرك! قلت: بلى، قالت: رأيت حين حملت به أنه خرج مني نور أضاء لي قصور بُصرى من الشام، ثم حملت به فوالله ما رأيت من حمل قط كان أخف منه ولا أيسر، ثم وقع حين وضعته، وأنه لواضع يديه بالأرض، رافع رأسه إلى السماء. دعيه عنك وانطلقي راشدة[1].

---

(١) ذكره البيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ١٣٣ ـ ١٣٦)، وذكره أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١١١ ـ ١١٣)، وذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٥٩، ١٦٠)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٦٧٧ ـ ٦٧٩)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (٢/ ٢٦١ ـ ٢٦٣)، وذكره أيضاً في «الوفا» (١١٩)، وذكره ابن هشام في «السيرة النبوية» عن ابن إسحاق (١/ ١٣٢ ـ ١٣٥).

(1) في المخطوطة: اسرحها.

(2) في المخطوطة: عليها.

وكانت مدة رضاع رسول الله ﷺ سنتين، وردتّه حليمة إلى أمه وجده عبد المطلب، وهو ابن خمس سنين في قول، وقال شداد بن أوس: بينما نحن عند رسول الله ﷺ، إذ أقبل شيخ من بني عامر، وهو ملك قومه وسيِّدهم شيخ كبير، متوكئاً على عصاً، فمثل قائماً، وقال: يا ابن عبد المطلب، إني أنبئت أنك تزعم أنك رسول الله، أرسلك بما أرسل به إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء، ألا وإنك فُهْتَ بعظيم، ألا وقد كانت الأنبياء من بني إسرائيل وأنت ممن يعبد هذه الحجارة والأوثان، وما لك وللنبوة؟ وإن لكل قول حقيقة، فما حقيقة قولك وبدو شأنك؟ فأعجب النبي ﷺ بمساءلته، ثم قال: «**يا أخا بني عامر/ اجلس**». فجلس، فقال له النبي ﷺ: «**إنَّ حقيقة قولي وبدوّ شأني أني دعوة أبي إبراهيم، وبُشرى أخي عيسى، وكنت بكر أمي، وحملتني [1]كأثقل ما تحمل النساء[1]، ثم رأت في منامها أن الذي في بطنها نور، [قالت]: فجعلت أتبع بصري النور وهو يسبق بصري، حتى أضاءت لي مشارق الأرض ومغاربها، ثم إنها ولدتني فنشأت، فلما نشأت بُغِّضَتْ إليّ الأوثان والشعر، فكنت مسترضعاً في بني سعد بن بكر، فبينا أنا ذات يوم منتبذاً من أهلي مع أتراب من الصبيان، إذ أتانا ثلاثة رهط، معهم طست من ذهب مملوء ثلجاً، فأخذوني من بين أصحابي، فخرج أصحابي هراباً حتى انتهوا إلى شفير الوادي، ثم أقبلوا على الرهط، فقالوا: ما أربكم إلى هذا الغلام؟ فإنه ليس له أب، وما يردُّ عليكم قتله؟، فلما رأى الصبيان الرهط لا يردون جواباً انطلقوا مسرعين إلى الحيّ يؤذنونهم بي ويستصرخونهم على القوم، فعمد أحدهم، فأضجعني على الأرض إضجاعاً لطيفاً، ثم شق ما بين مفرق صدري إلى منتهى عانتي، فأنا أنظر إليه لم أجد لذلك مساً، ثم أخرج أحشاء بطني فغسلها بالثلج فأنعم غسلها، ثم أخرج قلبي فصدعه، ثم أخرج منه مضغةً سوداء فرمى بها؛** قال: **بيده يمنة منه كأنه يتناول شيئاً، فإذا بخاتم في يده من نور يحار الناظرون دونه، فختم به قلبي، فامتلأ نوراً، وذلك نور النبوة والحكمة، ثم أعاده مكانه، فوجدت بردَ ذلك الخاتم في قلبي دهراً، ثم قال الثالث لصاحبه: تنح. فتنحى عني، فأمرّ يده ما بين مفرق صدري إلى منتهى عانتي، فالتأم ذلك الشق بإذن الله تعالى، ثم أخذ بيدي فأنهضني إنهاضاً لطيفاً، ثم قال للأول الذي شق بطني: زنه بعشرة من أمته، فوزنوني بهم فرجحتهم، ثم قال: زنه بمائة من أمته، فوزنوني بهم فرجحتهم، ثم قال: زنه بألف من أمته، فوزنوني بهم فرجحتهم، فقال: دعوه فلو وزنته بأمته كلهم لرجح بهم، ثم ضموني إلى صدورهم وقبّلوا رأسي وما بين عينيّ/**

ج١ ط/٢٧٢

ج١ ١/٦٧

(1-1) في المخطوطة: كما حمل ما تثقل في النساء.

ثم قالوا: يا حبيب لم تُرَع، إنك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرّ به عينك، قال: فبينما نحن كذلك إذ أنا بالحيّ قد جاؤوا بحذافيرهم، وإذ ظئري أمام الحي تهتف بأعلى صوتها وهي تقول: يا ضعيفاه! قال: فانكبوا عليّ ـ [يعني: الرهط] ـ وقبّلوا رأسي وما بين عينيّ، وقالوا: حبذا أنت من ضعيف! ثم قالت ظئري: يا وحيداه! فانكبوا عليّ فضموني إلى صدورهم، وقبلوا ما بين عينيّ، وقالوا: حبذا أنت من وحيد وما أنت بوحيد! إن الله معك! ثم قالت ظئري: يا يتيماه استضعفت من بين أصحابك فقتلت لضعفك! فانكبوا عليّ وضموني إلى صدورهم، وقبلوا ما بين عينيّ، وقالوا: حبذا/ أنت من يتيم! ما أكرمك على الله! لو تعلم ما يراد بك من الخير! قال: فوصلوا بي إلى شفير الوادي. فلما بصرت بي ظئري قالت: يا بُني ألا أراك حياً بعد؟ فجاءت حتى انكبت عليّ وضمتني إلى صدرها، فوالذي نفسي بيده إني لفي حجرها وقد ضمتني إليها، وإن يدي في يد بعضهم، فجعلت ألتفت إليهم وظننت أن القوم يبصرونهم، يقول بعض القوم: إن هذا الغلام أصابه لممٌ أو طائف من الجن، انطلقوا به إلى كاهننا حتى ينظر إليه ويداويه، فقلت: ما هذا؟ ليس بي[1] شيء مما يذكر، إن إرادتي سليمة[2]، وفؤادي صحيح ليس فيّ قلبةٌ، فقال أبي من الرضاع: ألا ترون كلامه صحيحاً؟[3] إني لأرجو أن لا يكون بابني بأس. فاتفقوا على أن يذهبوا بي إلى الكاهن، فذهبوا بي إليه، فلما قصوا عليه قصتي قال: اسكتوا حتى أسمع من الغلام، [فإنه أعلم بأمره منكم]، فقصصت[4] عليه أمري من أوله إلى آخره، فلما سمع قولي وثب إليّ وضمني إلى صدره، ثم نادى بأعلى صوته: يا للعرب اقتلوا هذا الغلام واقتلوني معه! فواللات والعزّى لئن تركتموه فأدرك ليذلن دينكم، ويخلفن أمركم، وليأتينكم بدينٍ لم تسمعوا بمثله قط، فانتزعتني ظئري منه، وقالت: لأنت أجن وأعته من ابني هذا، فاطلب لنفسك من يقتلك، فإنا غير قاتليه! ثم ردوني إلى أهلي، فأصبحت مفزعاً مما فعل بي وأثر الشق مما بين صدري إلى عانتي، كأنه الشراك، فذلك حقيقة قولي وبدو شأني يا أخا بني عامر»[1].

ج١/٢٧٣/ط

(١) ذكره الهندي في «كنز العمال» (الحديث: ٣٥٥٥٩)، وذكره ابن حجر في «المطالب العالية» (الحديث: ٤٢٥٤)، وذكره ابن عساكر في «تهذيب تاريخ دمشق» (الحديث: ١/ ٣٧٣)، وذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٦١ ـ ١٦٣)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٢٧٩، ٢٨٠)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (٢/ ٢٦٤ ـ ٢٦٧)، وذكره ابن هشام في «السيرة النبوية» عن ابن إسحاق (١/ ١٣٥، ١٣٦).

(1) في المخطوطة: في.
(2) في المخطوطة: سليم.
(3) في المخطوطة: كلام صحيح.
(4) في المخطوطة: فسألني فقصصت.

فقال العامري: أشهد بالله الذي لا إله إلا هو أن أمرك حق، فأنبئني بأشياء أسألك عنها، قال: «**سل**». قال: أخبرني ما يزيد في العلم؟ قال: «**التعلم**»، قال: فما يدل على العلم؟ قال النبي ﷺ: «**السؤال**». قال: فأخبرني ماذا يزيد في الشيء؟ قال: «**التمادي**». قال: فأخبرني هل ينفع البر مع الفجور؟ قال: «**نعم، التوبة تغسل الحوبة، والحسنات يُذْهِبن السيئات، وإذا ذكر العبد الله عند الرخاء أعانه عند البلاء**». فقال العامري: فكيف ذلك؟ قال: «**ذلك بأن الله عز وجل، يقول: وعزتي وجلالي لا أجمع لعبدي أَمْنَيْن، ولا أجمع له خَوْفَيْن، إن خافني في الدنيا أمنته يوم أجمع عبادي**[1] **في حظيرة القدس، فيدوم له أمنه ولا أمحقه فيمن أمحق، وإن هو أمنني في الدنيا خافني يوم أجمع فيه [عبادي] لميقات يوم معلوم، فيدوم له خوفه**». قال: يا ابن عبد المطلب أخبرني إلى ما تدعو؟ قال: «**أدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وأن تخلع الأنداد وتكفر باللات والعزّى، وتقر بما جاء من عند الله من كتاب ورسول، وتصلّي الصلوات الخمس بحقائقهن، وتصوم شهراً من السنة، وتؤدي زكاة مالك يطهرك الله تعالى بها، ويطيّب لك مالك، وتحج البيت إذا وجدت إليه سبيلاً، وتغتسل من الجنابة، وتؤمن/ بالموت والبعث بعد الموت، وبالجنة والنار**». قال: يا ابن عبد المطلب، فإذا فعلت ذلك فما لي؟ فقال النبي ﷺ: «﴿جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾»[1]. فقال: هل مع هذا من الدنيا شيء؟ فإنه يعجبني الوطأة من العيش، قال النبي ﷺ: «**نعم النصر والتمكين في البلاد**». فأجاب وأناب[2].

ج١/٢٧٤/ط

قال ابن إسحاق: هلك عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله ﷺ، وأمّ رسول الله ﷺ آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة حامل به. قال هشام بن محمد: توفي عبد الله أبو رسول الله ﷺ بعد ما أتى على رسول الله ﷺ ثمانية وعشرون يوماً[3].

---

(١) سورة: طه، الآيتان: ٦، ٧.

(٢) ذكره الهندي في «كنز العمال» (الحديث: ٣١٨٣٣) و(الحديث: ٣١٨٣٥)، وذكره القرطبي في «تفسيره» (الحديث: ٢/ ١٣١)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (الحديث: ١/ ١٣٩) و(الحديث: ٥/ ٢٠٧)، وذكره ابن عساكر في «تهذيب تاريخ دمشق» (الحديث: ١/ ٣٩)، وذكره البغوي في «شرح السنة» (الحديث: ١/ ١١١)، وذكره ابن هشام في «السيرة النبوية» عن ابن إسحاق (١/ ١٣٥، ١٣٦)، وذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٦٤، ١٦٥).

(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٦٥)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٦٨٣)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (١/ ١١٠)، وذكره ابن هشام في «السيرة النبوية» عن ابن إسحاق (١/ ١٣٠).

---

(1) في المخطوطة: عبادي يعني.

وقال الواقدي: أثبت عندنا أن عبد الله بن عبد المطلب أقبل من الشام في عير لقريش، ونزل بالمدينة وهو مريض؛ فأقام حتى توفي، ودفن بدار النابغة الصغرى[١].

قال ابن إسحاق: وتوفيت أمه آمنة وله ست سنين بالأبواء، بين مكة والمدينة، كانت قدمت به المدينة على أخواله من بني النجار تُزَيِّرَهُ إياهم، فماتت وهي راجعة، وقيل: إنها أتت المدينة تزور قبر زوجها عبد الله، ومعها رسول الله ﷺ وأم أيمن حاضنة رسول الله ﷺ، فلما عادت ماتت بالأبواء، وقيل: إن عبد المطلب زار أخواله من بني النجار، وحمل معه آمنة ورسول الله ﷺ، فلما رجع توفيت بمكة، ودفنت في شعب أبي ذر، والأول أصح[٢].

ولما سارت قريش إلى أُحد همُّوا باستخراجها من قبرها، فقال بعضهم: إن النساء عورة وربما أصاب محمد من نسائكم، فكفهم الله بهذا القول إكراماً لأم النبي ﷺ، قال ابن إسحاق: وتوفي عبد المطلب ورسول الله ﷺ، ابن ثمان سنين، وقيل: ابن عشر/ سنين[٣]. ج١/٦٧/ب

ولما مات عبد المطلب صار رسول الله ﷺ في حجر عمه أبي طالب بوصية من عبد المطلب إليه بذلك، لما كان يرى من بره به وشفقته وحنوه عليه، فيصبح ولد أبي طالب غمصاً رمساً، ويصبح رسول الله صقيلاً دهيناً[٤].

ذكر قتل تميم بالمشقر

قال هشام: أرسل وهرز بأموال وطرف من اليمن إلى كسرى، فلما كانت ببلاد تميم دعا صعصعة ابن ناجية المجاشعي، جد الفرزدق الشاعر، بني تميم إلى الوثوب عليها، فأبوا[1]، فقال[2]: [كأني] ببني بكر بن وائل وقد انتهبوا، فاستعانوا بها على حربكم،

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٦٥).
(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٦٦)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٦٨٣)، وذكره ابن هشام في «السيرة النبوية» عن ابن إسحاق (١/ ١٣٧).
(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٦٦)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٦٨٣).
(٤) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٦٦).

(1) في المخطوطة: فأبو عليه.
(2) في المخطوطة: وقال.

فلما سمعوا ذلك وثبوا عليها وأخذوها، وأخذ رجل من بني صليت[1]، يقال له: النطف، خرجاً فيه جوهر، فكان يقال: «أصاب كنزاً النطف»؛ فصار مثلاً. وصار أصحاب العير إلى هوذة بن علي الحنفي باليمامة،/ فكساهم وحملهم، وصار معهم حتى دخل على كسرى، فأعجب به كسرى، ودعا بعقدٍ من در فعقد على رأسه، فمن ثم سُمي هوذة: ذا التاج. ج١/٢٧٥/ظ

وسأله كسرى عن تميم هل من قومه أو بينه وبينهم سلم؟ فقال: لا بيننا إلا الموت، قال: قد أدركت ثأرك، وأراد إرسال الجنود إلى تميم فقيل[2] [له]: إن ماءهم قليل، وبلادهم بلاد سوء، وأشير عليه أن يرسل إلى عامله بالبحرين، وهو ازاد فيروز بن جشيش الذي سمته العرب المكعبر، [وإنما] سمي بذلك[3]؛ لأنه كان يقطع الأيدي والأرجل، فأمره بقتل بني تميم، [ففعل، ووجَّه إليه رسولاً، ودعا هوذة وجدد له كرامة وصلة، وأمره بالمسير مع رسوله، فأقبل إلى المكعبر أيام اللقاط، وكانت تميم] تصير[4] إلى هجر للميرة واللقاط، فأمر المكعبر منادياً ينادي: ليحضر من كان ههنا[5] من بني تميم، فإن الملك قد أمر لهم بميرة وطعام، فحضروا ودخلوا المشقر، وهو حصن، فلما دخلوا قتل المكعبر رجالهم، واستبقى غلمانهم، وقتل يومئذٍ قعنب الرياحي، وكان فارس يربوع، وجعل الغلمان في السفن، وعبر بهم إلى فارس.

قال هبيرة بن حدير العدوي: رجع[6] إلينا بعد ما فتحت إصطخر عدة منهم، وشد رجل من بني تميم، يقال له: عبيد بن وهب على سلسلة الباب فقطعها وخرج، واستوهب هوذة من المكعبر مائة أسير منهم فأطلقهم[1].

حدير: بضم الحاء المهملة وفتح الدال/. ج١/٢٧٦/ظ

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/١٦٩، ١٧٠).

(1) في المخطوطة: سليط.
(2) في المخطوطة: فقال.
(3) في المخطوطة: بذلك إنما سمي بذلك.
(4) في المخطوطة: تسير.
(5) في المخطوطة: منها.
(6) في المخطوطة: رجعت.

ذكر ملك ابنه هرمز بن أنوشروان

وكانت أمه ابنة خاقان الأكبر، لما ملك كسرى أنوشروان، كان ملكه ثمانية وأربعين سنة[١].

فملك بعده هرمز، وكان هرمز بن كسرى أديباً، ذا نية في الإحسان إلى الضعفاء، والحمل على الأشراف، فعادوه وأبغضوه.

وكان في نفسه مثل ذلك، وكان عادلاً، بلغ من عدله أنه ركب ذات يوم إلى ساباط المدائن فاجتاز بكروم، فاطلع أسوار من أساورته في كرم، وأخذ منه عناقيد حصرم، فلزمه حافظ الكروم وصرخ، فبلغ من خوف الأسوار من عقوبة كسرى هرمز [1]أن دفع[1] إلى حافظ الكرم، منطقة محلاة بذهب، عوضاً من الحصرم، فتركه[٢].

وقيل: كان مظفراً منصوراً، لا يمد يده إلى شيء إلا ناله، وكان داهياً، رديء النية، قد نزع إلى أخواله الترك، وأنه قتل من العلماء وأهل البيوتات والشرف ثلاثة عشر ألف رجل وستمائة رجل، ولم يكن له رأي إلا في تألف السفلة.

وحبس كثيراً من العظماء وأسقطهم وحط مراتبهم، وحرم الجنود، ففسد عليه كثير ممن كان حوله، وخرج عليه شايه ملك الترك في ثلاثمائة ألف مقاتل، في سنة ست[2] عشرة من ملكه، فوصل هراة وباذغيس، وأرسل إلى هرمز والفرس يأمرهم بإصلاح الطرق، ليجوز إلى بلاد الروم، ووصل ملك الروم في ثمانين ألفاً إلى الضواحي، قاصداً له، ووصل ملك الخزر إلى الباب والأبواب في جمعٍ عظيم، فإنَّ جمعاً من العرب شنوا الغارة على السواد، فأرسل هرمز بهرام خشنش، ويعرف: بجوبين، في اثني عشر ألفاً من المقاتلة،

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٧٢).

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٧٢).

(1-1) في المخطوطة: فدفع.

(2) في المخطوطة: احدى.

اختارهم من عسكره. فسار مجداً، وواقع شايه ملك الترك، فقتله برمية رماها.

واستباح عسكره، ثم وافاه برمودة بن شايه، فهزمه أيضاً وحصره في بعض الحصون حتى استسلم، فأرسله إلى هرمز أسيراً، وغنم ما في الحصن، فكان عظيماً[١].

ثم خاف بهرام ومن معه هرمز، فخلعوه[1] [و] ساروا نحو المدائن وأظهروا أن ابنه أبرويز أصلح [2]للملك منه[2] وساعدهم على ذلك بعض من كان بحضرة هرمز، وكان غرض بهرام أن يستوحش هرمز من ابنه أبرويز، ويستوحش ابنه منه فيختلفا، فإن ظفر أبرويز بأبيه كان أمره على بهرام سهلاً، وإن ظفر أبوه نجا بهرام والكلمة مختلفة، فينال[3] من هرمز غرضه، وكان يحدث نفسه بالاستقلال بالملك. فلما علم أبرويز ذلك خاف أباه، فهرب إلى أذربيجان، فاجتمع عليه عدة من المرازبة والأصبهبذين، ووثب العظماء بالمدائن، وفيهم: بندويه وبسطام خالا أبرويز، فخلعوا هرمز وسملوا عينيه، وتركوه تحرجاً من قتله، وبلغ أبرويز الخبر، فأقبل من أذربيجان إلى دار الملك[٢].

ج١ ٢٧٧/ط وكان ملك هرمز إحدى/ عشرة سنة وتسعة أشهر، وقيل: اثنتي عشرة سنة، ولم ج١ ٦٨/أ يسمل من ملوك الفرس غيره/ لا قبله ولا بعده[٣].

ومن محاسن السير ما حُكِيَ عنه: أنه لما فرغ من بناء داره التي تشرف على دجلة مقابل المدائن، عمل وليمة عظيمة وأحضر الناس من الأطراف، فأكلوا، ثم قال لهم: هل رأيتم في هذه الدار عيباً؟ فكلهم قال: لا عيب فيها. فقام رجل وقال: فيها ثلاثة عيوب فاحشة:

أحدها: أن الناس يجعلون دورهم في الدنيا، وأنت جعلت الدنيا في دارك، فقد أفرطت في توسيع صحونها وبيوتها، فتتمكن الشمس[4] في الصيف والسموم، فيؤذي ذلك أهلها، ويكثر فيها في الشتاء البرد.

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٧٤، ١٧٥).
(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٧٥).
(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٧٦).

---

(1) في المخطوطة: فجعلوا.
(2-2) في المخطوطة: منه للملك.
(3) في المخطوطة: منال.
(4) في المخطوطة: الشمس منها.

والثاني: أن الملوك يتوصلون في البناء على الأنهار، لتزول همومهم وأفكارهم بالنظر إلي المياه، ويترطب الهواء، وتضيء أبصارهم، وأنت قد تركت دجلة وبنيتها في القفر.

والثالث: أنك جعلت حجرة النساء مما يلي الشمال من مساكن الرجال، وهو أدوم هبوباً، فلا يزال الهواء يجيء بأصوات النساء وريح طيبهن، وهذا ما تمنعه الغيرة والحمية.

فقال هرمز: أما سعة الصحون والمجالس فخير المساكن ما سافر فيه البصر، وشدة الحر والبرد يدفعان بالخيش والملابس والنيران، وأما مجاورة الماء فكنت عند أبي وهو يشرف على دجلة، فغرقت سفينة تحته، فاستغاث من بها إليه، وأبي يتأسف عليهم، ويصيح بالسفن التي تحت داره ليلحقوهم، فإلى أن يلحقوهم غرق جميعهم.

فجعلت في نفسي أنني لا أجاور سلطاناً هو أقوى مني، وأما عمل حجرة النساء في جهة الشمال، فقصدنا به أن الشمال أرق هواءً وأقل وخامة، والنساء يلازمن البيوت، فعمل لذلك، وأما الغيرة فإن الرجال لا يخلون بالنساء، وكل من يدخل هذه الدار إنما هو مملوك وعبد لقيم، وأما أنت فما أخرج هذا منك إلا بغضٌ لي، فأخبرني عن سببه، فقال الرجل: لي قرية ملك كنت أنفق حاصلها على عيالي، فغلبني المرزبان فأخذها مني، فقصدتك أتظلم منذ سنتين، فلم أصل إليك، فقصدت وزيرك وتظلمت إليه، فلم ينصفني، وأنا أؤدي خراج القرية حتى لا يزول اسمي عنها، وهذا غاية الظلم أن يكون غيري يأخذ دخلها، وأنا أؤدي خراجها.

فسأل هرمز وزيره فصدقه، وقال: خفت أعلمك فيؤذيني المرزبان. فأمر هرمز أن يؤخذ من المرزبان ضعف ما أخذ، وأن يستخدمه صاحب القرية في أي شغل شاء سنتين، وعزل وزيره، وقال في نفسه: إذا كان الوزير يراقب[1] الظالم، فالحري[2] أن [3]غيره يراقبه[3].

فأمر باتخاذ صندوق، وكان يقفله ويختمه بخاتم، ويترك على باب داره، وفيه خرقٌ، يلقى فيه رقاع المتظلمين، وكان يفتحه كل أسبوع/ ويكشف المظالم، فأفكر وقال: أريد أعرف ظلم الرعية ساعةً فساعة، فاتخذ سلسلة طرفها في مجلسه في السقف، والطرف الآخر خارج الدار، في روزنة وفيها جرس، وكان المتظلم يحرك السلسلة فيحرك الجرس فيحضره ويكشف ظلامته[4].

ج١/٢٧٨/ط

(1) في المخطوطة: يراقب في.
(2) في المخطوطة: فالأحرى.
(3-3) في المخطوطة: راقب في غيرنا.
(4) في المخطوطة: مظلمته.

ذكر ملْك كسرى أبرويز بن هرمز

وكان من أشد ملوكهم بطشاً، وأنفذهم رأياً، وبلغ من البأس والنجدة، وجمع الأموال ومساعدة الأقدار ما لم يبلغه ملك قبله، ولذلك لقب: أبرويز، ومعناه: المظفر، وكان في حياة أبيه قد سعى به بهرام جوبين إلى أبيه أنه يريد الملك لنفسه، فلما علم ذلك سار إلى أذربيجان سراً، وقيل غير ذلك وقد تقدم، فلما وصلها بايعه من كان بها من العظماء، واجتمع من بالمدائن على خلع أبيه، فلما سمع أبرويز بادر الوصول إلى المدائن قبل بهرام جوبين، فدخلها قبله.

ولبس التاج وجلس على السرير، ثم دخل إلى أبيه، وكان قد سمل، فأعلمه أنه بريء مما فعل به، وإنما كان هربه للخوف منه، فصدقه، وسأله أن يرسل إليه كل يوم من يؤنسه، وأن ينتقم ممن خلعه وسمل عينيه، فاعتذر بقرب بهرام منه في العساكر، وأنه لا يقدر على أن ينتقم ممن فعل به ذلك، إلا بعد الظفر ببهرام.

وسار بهرام إلى النهروان، وسار أبرويز إليه، فالتقيا هناك، ورأى أبرويز من أصحابه فتوراً في القتال، فانهزم ودخل على أبيه، وعرفه الحال فاستشاره، فأشار عليه بقصد موريق ملك الروم، وجهز ثانياً وسار في عدة يسيرة، فيهم: خالاه بندويه وبسطام، وكردي أخو بهرام.

فلما خرجوا من المدائن خاف من معه أن بهرام يرد هرمز إلى الملك، ويرسل إلى ملك الروم في ردهم، فيردهم إليه، فاستأذنوا أبرويز في قتل أبيه هرمز، فلم يحر جواباً، فانصرف بندويه وبسطام وبعض من معهم إلى هرمز، فقتلوه خنقاً، ثم رجعوا إلى أبرويز.

وساروا مجدين إلى أن جاوزوا الفرات، ودخلوا ديراً يستريحون فيه، فلما دخلوا غشيتهم خيل بهرام جوبين، ومقدمها رجل اسمه: بهرام بن سياوش، فقال بندويه لأبرويز: احتل لنفسك، قال: ما عندي حيلة! قال بندويه: أنا أبذل نفسي دونك، وطلب منه بزته فلبسها، وخرج أبرويز ومن معه من الدير وتواروا بالجبل.

ووافى بهرام/ الدير، فرأى بندويه فوق الدير عليه بزة أبرويز فاعتقده هو، وسأله أن ينظره إلى غد ليصير إليه سلماً، ففعل، ثم ظهر من الغد على حيلته، فحمله إلى بهرام جوبين، فحبسه[١]. ج١/٦٨/ب

ودخل بهرام جوبين[1] دار الملك وقعد على السرير ولبس التاج، فانصرفت الوجوه عنه، لكن الناس أطاعوه خوفاً، وواطأ بهرام بن سياوش بندويه على/ الفتك ببهرام جوبين، فعلم بهرام جوبين بذلك، فقتل بهرام، وأفلت بندويه فلحق بأذربيجان. ج١/٢٧٩/ط

وسار أبرويز إلى أنطاكية، وأرسل أصحابه إلى الملك، فوعده النصرة، وتزوج أبرويز ابنة الملك موريق، واسمها: مريم، وجهز معه العساكر الكثيرة، فبلغت عدتهم سبعين ألفاً، فيهم رجل يعدّ بألف مقاتل، فرتبهم أبرويز وسار بهم إلى أذربيجان، فوافاه بندويه وغيره من المقدمين والأساورة، في أربعين ألف فارس من أصبهان وفارس وخراسان، وسار إلى المدائن، وخرج بهرام جوبين نحوه، فجرى بينهما حرب[2] شديدة، فقتل فيها الفارس الرومي الذي يعد بألف فارس، ثم انهزم بهرام جوبين وسار إلى الترك[٢].

وسار أبرويز من المعركة، ودخل المدائن، وفرق الأموال في الروم، فبلغت جملتها عشرين ألف ألف، فأعادهم إلى بلادهم.

وأقام بهرام جوبين عند الترك مكرماً، فأرسل أبرويز إلى زوجة الملك، وأجزل لها الهدية من الجواهر وغيرها، وطلب منها قتل بهرام، فوضعت عليه من قتله، فاشتد قتله على ملك الترك، ثم علم أن زوجته قتلته فطلقها، ثم إن أبرويز قتل بندويه، وأراد قتل بسطام، فهرب منه إلى طبرستان لحصانتها، فوضع أبرويز عليه فقتله[٣].

وأما الروم فإنهم خلعوا ملكهم موريق بعد أربع عشرة سنة من ملك أبرويز وقتلوه، وملكوا عليهم بطريقاً اسمه: فوقاس، فأباد ذرية موريق، سوى ابن له هرب إلى كسرى أبرويز، فأرسل معه العساكر، وتوّجه وملكه على الروم، وجعل على عساكره ثلاثة نفر من قواده وأساورته.

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٧٩).
(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٨٠).
(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٨٠، ١٨١).

---

(1) في المخطوطة: جوبين فعلم جوبين.
(2) في المخطوطة: حروب.

أما أحدهم فكان يقال له: بوران، وجَّهه في جيش منها إلى الشام، فدخلها حتى انتهى إلى البيت المقدس، فأخذ خشبة الصليب التي تزعم النصارى أن المسيح [عليه السلام] صلب عليها، فأرسلها إلى كسرى أبرويز، وأما القائد الثاني فكان يقال له: شاهين، فسيَّره في جيش آخر إلى مصر فافتتحها، وأرسل مفاتيح الإسكندرية إلى أبرويز.

وأما القائد الثالث، وهو أعظمهم، [فكان] يقال له: فرخان، وتدعى مرتبته: شهريراز، وجعل مرجع القائدين الأولين إليه[1].

وكانت والدته منجبة لا تلد إلا نجيباً، فأحضرها أبرويز، وقال لها: إني أريد أن أوجه جيشاً إلى الروم أستعمل عليه بعض بنيك، فأشيري عليّ أيهم أستعمل؟ فقالت: أما فلان: فأروغ من ثعلب، وأحذر من صقر.

وأما فرخان: فهو أنفذ من سنان. وأما شهريراز: فهو أحلم من كدى، فقال: قد استعملت الحليم، فولاه أمر الجيش، فسار إلى الروم فقتلهم، وخرب مدائنهم وقطع أشجارهم، وسار في بلادهم/ إلى القسطنطينية، حتى نزل على خليجها القريب منها ينهب ويغير ويخرّب، فلم يخضع لابن موريق أحد ولا أطاعه، غير أن الروم قتلوا فوقاس لفساده، وملكوا عليهم بعده هرقل، وهو الذي أخذ المسلمون الشام منه. ج١/٢٨٠/ط

فلما رأى هرقل ما أهم الروم من[1] النهب [والقتل] والبلاء، تضرع إلى الله تعالى ودعاه، فرأى في منامه رجلاً كثّ اللحية، رفيع المجلس، عليه بزة حسنة، فدخل عليهما داخل، فألقى ذلك الرجل من مجلسه[2]، وقال لهرقل: إني قد أسلمته في يدك، فاستيقظ، فلم يقص رؤياه، فرأى في الليلة الثانية ذلك الرجل جالساً في مجلسه، وقد دخل الرجل الثالث وبيده سلسلة، فألقاها في عنق ذلك الرجل، وسلَّمه[3] إلى هرقل، وقال: قد دفعت إليك كسرى برمته، فأغزه، فإنك مدال عليهم، وبالغ أمنيتك في أعدائك. فقص حينئذٍ هذه الرؤيا على عظماء الروم[2].

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٨١).

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٨٢).

---

(1) في المخطوطة: ومن فيه من القتل.

(2) في المخطوطة: من مجلسه وقد قال قد دفعت إليك كسرى برمته فاغزه فإنك مدال عليهم وبالغ أمنيتك في أعدائك.

(3) في المخطوطة: سلمها.

فأشاروا عليه أن يغزوه، فاستعد هرقل، واستخلف ابناً له على القسطنطينية، وسلك غير الطريق الذي عليه شهريراز، وسار حتى أوغل في بلاد أرمينية، وقصد الجزيرة، فنزل نصيبين، فأرسل إليه كسرى جنداً، وأمرهم بالمقام بالموصل، وأرسل إلى شهريراز يستحثه على القدوم عليه، ليتضافرا على قتال هرقل[١].

وقيل في مسيره غير هذا، وهو: أن شهريراز سار إلى بلاد الروم، فوطىء الشام، حتى وصل إلى أذرعات، ولقي جيوش الروم بها، فهزمها وظفر بها وسبى وغنم، وعظم شأنه، ثم إن فرخان أخا شهريراز شرب الخمر يوماً وقال: لقد رأيت في المنام كأني جالس على سرير كسرى، فبلغ الخبر كسرى، فكتب إلى أخيه شهريراز يأمره بقتله، فعاوده وأعلمه شجاعته ونكايته في العدو.

فعاد كسرى وكتب إليه بقتله، فراجعه، فكتب/ إليه الثالثة، فلم يفعل[1]، فكتب كسرى بعزل شهريراز وولاية فرخان العسكر، فأطاع شهريراز، [فلما جلس على سرير الإمارة ألقى إليه القاصد بولايته كتاباً صغيراً من كسرى يأمر بقتل شهريراز]، فعزم على قتله، فقال له شهريراز: أمهلني حتى أكتب وصيتي، فأمهله، فأحضر درجاً، وأخرج منه كتب كسرى الثلاثة، وأطلعه عليها، وقال: أنا راجعت فيك ثلاث[2] مرات ولم أقتلك، وأنت تقتلني في مرة واحدة. فاعتذر أخوه إليه، وأعاده إلى الإمارة، واتفقا على موافقة ملك الروم على كسرى، فأرسل شهريراز إلى هرقل: إن لي إليك حاجة، لا يبلغها البريد ولا تسعها الصحف، فالقني في خمسين رومياً، فإني ألقاك في خمسين فارسياً، فأقبل قيصر في جيوشه جميعاً، ووضع عيونه تأتيه بخبر شهريراز.

ج١/ ١/٦٩

وخاف أن يكون مكيدة، فأتته عيونه، فأخبروه أنه في خمسين فارسياً، فحضر عنده في مثلها، واجتمعا وبينهما ترجمان،/ فقال له: أنا وأخي خربنا بلادك وفعلنا ما علمت[٢].

ج١/ ٢٨١/ط

وقد حسدنا[3] كسرى وأراد قتلنا، وقد خلعناه، ونحن نقاتل معك.

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٨٣).

(٢) ذكره الطبري في «تفسيره»، تفسير سورة الروم (١١/ ١٨، ١٩)، وذكره أيضاً في «تاريخه» (٢/ ١٨٦، ١٨٧)، وذكره ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٤٣٤)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (٢/ ٣٨٧).

(1) في المخطوطة: يفعل وراجعه.

(2) في المخطوطة: أربع.

(3) في المخطوطة: معك.

ففرح هرقل بذلك، واتفقا عليه، وقتلا الترجمان لئلا يفشي سرهما، وسار هرقل في جيشه إلى نصيبين، وبلغ كسرى أبرويز الخبر، فأرسل لمحاربة هرقل قائداً من قواده اسمه: راهزار، في اثني عشر ألفاً، وأمره أن يقيم بنينوى من أرض الموصل على دجلة، يمنع هرقل من أن يجوزها، وأقام هو بدسكرة الملك.

فأرسل راهزار العيون، فأخبروه أن هرقل في سبعين ألف مقاتل، فأرسل إلى كسرى يعرفه ذلك، وأنه يعجز عن قتال هذا الجمع الكثير، فلم يعذره وأمره بقتاله، فأطاع وعبى جنده، وسار هرقل نحو جنود كسرى، وقطع دجلة من غير الموضع الذي فيه راهزار، فقصده راهزار ولقيه، فاقتتلوا، فقتل راهزار وستة آلاف[1] من أصحابه، وانهزم الباقون، وبلغ الخبر أبرويز وهو بدسكرة الملك، فهاله ذلك، وعاد إلى المدائن، وتحصن بها، لعجزه عن محاربة هرقل، وكتب إلى قواد الجند الذين انهزموا يتهددهم بالعقوبة، فأحوجهم إلى الخلاف عليه، على ما نذكره إن شاء الله[2]، وسار هرقل حتى قارب المدائن، ثم عاد إلى بلاده(١).

وكان سبب عوده: أن كسرى لما عجز عن هرقل أعمل الحيلة، فكتب كتاباً إلى شهريراز يشكره ويثني عليه، ويقول له: أحسنت في فعل ما أمرتك به من مواصلة ملك الروم وتمكينه من البلاد، والآن فقد أوغل وأمكن من نفسه، فتجيء أنت من خلفه، وأنا من بين يديه، ويكون اجتماعنا عليه يوم كذا، فلا يفلت منهم أحد.

ثم جعل الكتاب في عكاز أبنوس، وأحضر راهباً[3] في دير عند المدائن، وقال له: لي إليك حاجة، فقال الراهب: الملك أكبر من أن يكون له إليّ حاجة، ولكنني عبده، قال: إن الروم قد نزلوا قريباً منا، وقد حفظوا الطرق عنا، ولي إلى أصحابي الذين بالشام حاجة، وأنت نصراني، إذا جزت على الروم لا ينكرونك، وقد كتبت كتاباً وهو في هذه العكازة، فتوصله إلى شهريراز، وأعطاه مائتي دينار، فأخذ الكتاب وفتحه وقرأه ثم أعاده وسار.

فلما صار بالعسكر ورأى الروم والرهبان والنواقيس رقَّ قلبه، وقال: أنا شر الناس إن أهلكت النصرانية! فأقبل إلى سرادق الملك وأنهى حاله، وأوصل الكتاب إليه، فقرأه،

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٨٣).

(1) في المخطوطة: ألف.
(2) في المخطوطة: الله تعالى.
(3) في المخطوطة: راهباً كان.

ثم أحضر أصحابه رجلاً قد أخذوه من طريق الشام، قد واطأه كسرى، ومعه كتاب قد افتعله على لسان شهريراز إلى كسرى يقول: إنني ما زلت أخادع ملك الروم حتى اطمأن إليّ، وجاز إلى البلاد كما أمرتني، فيعرفني الملك في أي يوم يكون لقاؤه، حتى أهجم أنا عليه من ورائه، والملك من بين يديه، فلا يسلم هو ولا/ أصحابه، وأمره أن يتعمد طريقاً يؤخذ فيها، فلما قرأ ملك الروم الكتاب الثاني تحقق الخبر، فعاد شبه المنهزم، مبادراً إلى بلاده، ووصل خبر عودة ملك الروم إلى شهريراز، فأراد أن يستدرك ما فرط منه، فعارض الروم، فقتل منهم قتلاً ذريعاً، وكتب إلى كسرى: إنني عملت الحيلة على الروم حتى صاروا في العراق، وأنفذ من رؤوسهم شيئاً كثيراً.

ج١/٢٨٢/ط

وفي هذه الحادثة أنزل الله تعالى: ﴿الٓمٓ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾[1].

يعني: بأدنى الأرض أذرعات، وهي أدنى أرض الروم إلى العرب، وكانت الروم قد هزمت بها في بعض حروبها.

وكان النبي ﷺ والمسلمون قد ساءهم ظفر الفرس أولاً بالروم؛ لأن الروم أهل كتاب، وفرح الكفار؛ لأن المجوس أُمِّيون مثلهم، فلما نزلت هذه الآيات راهن أبو بكر الصدِّيق أبيّ بن خلف على أن الظفر يكون للروم إلى تسع سنين، والرهن مائة بعير، فغلبه أبو بكر، ولم يكن الرهن ذلك الوقت حراماً، فلما ظفرت الروم أتى الخبر رسول الله ﷺ يوم الحديبية[2].

(١) سورة: الروم، الآيات: ١ ـ ٨.

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٨٧)، وذكره أيضاً في «تفسيره»، تفسير سورة الروم (١١/ ١٨، ١٩)، وذكره ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٤٣٤)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (٢/ ٣٨٧).

ذكر ما رأى كسرى في الآيات
بسبب رسول الله ﷺ

ج١/٦٩/ب فمن ذلك أن كسرى أبرويز سكر[1] دجلة العوراء[١]/، وأنفق عليها من الأموال ما لا يحصى كثرة، وكان طاق مجلسه قد بُني بنياناً لم ير مثله، وكان عنده ثلثمائة وستون رجلاً من الحزاة من بين كاهن وساحر ومنجم، وكان فيهم رجل من العرب اسمه: السائب، بعث به باذان من اليمن، وكان كسرى إذا أحزنه أمر جمعهم، فقال: انظروا في هذا الأمر ما هو[٢]؟.

فلما بعث الله محمداً ﷺ، أصبح كسرى وقد انفصم طاق ملكه من غير ثقل، وانخرقت دجلة العوراء، فلما رأى ذلك أحزنه، وقال: انفصم طاق ملكي، وانخرقت دجلة العوراء، «شاه بشكست»، يقول: «الملك انكسر»[٣].

ثم دعا كهانه وسحاره ومنجميه، وفيهم السائب، فقال لهم: انظروا في هذا الأمر. فنظروا في أمره فأخذت عليهم أقطار السماء وأظلمت الأرض، فلم يمض لهم ما راموه، وبات السائب في ليلة، ظلماء على ربوة من الأرض ينظر، فرأى برقاً من قبل الحجاز استطار فبلغ المشرق، فلما أصبح رأى تحت قدميه روضة خضراء، فقال فيما يعتاف: إن صدق ما أرى ليخرجن من الحجاز سلطان يبلغ المشرق تخصب عليه الأرض كأفضل ما أخصبت على ملك[٤]/ ج١/٢٨٣/ط.

فلما خلص الكهان والمنجمون، والسحار بعضهم إلى بعض، ورأوا ما أصابهم،

---

(١) سكر دجلة العوراء: اسم لدجلة البصرة، ويقال سكر النهر: إذا سد فاه.
(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٨٨)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (٢/ ٣٦٠).
(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٨٨، ١٨٩)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (٢/ ٣٦٠، ٣٦١).
(٤) تقدم تخريجه سابقاً.

---

(1) في المخطوطة: سكن.

ورأى السائب ما رأى، قال بعضهم لبعض: والله ما حال بينك وبين علمكم إلا أمر جاء من السماء، وإنه لنبي بعث أو هو مبعوث يسلب هذا الملك ويكسره، ولئن نعيتم لكسرى ملكه ليقتلنكم. فاتفقوا على أن يكتموه الأمر، وقالوا له: قد نظرنا فوجدنا أن وضع دجلة العوراء وطاق الملك قد وضع على النحوس، فلما اختلف الليل والنهار وقعت النحوس مواقعها، فزال كل ما وضع عليها، وإنا نحسب لك حساباً تضع عليه بنيانك فلا يزول، فحسبوا وأمروه بالبناء، فبنى دجلة العوراء في ثمانية أشهر، فأنفق عليه أموالاً جليلة، حتى فرغ فقال لهم: أجلس على سورها؟ قالوا: نعم، فجلس في أساورته، فبينما هو هنالك انتسفت دجلة البنيان من تحته، فلم يخرج إلا بآخر رمق[١].

فلما أخرجوه جمع كهانه وسحاره ومنجميه، فقتل منهم قريباً من مائة، وقال: قربتكم وأجريت عليكم الأرزاق، ثم أنتم تلعبون بي! فقالوا: أيها الملك، أخطأنا كما أخطأ من قبلنا، ثم حسبوا له وبناه، وفرغ منه، وأمروه بالجلوس عليه فخاف، فركب فرساً، وسار على البناء، فبينما هو يسير انتسفته دجلة، فلم يدرك إلا بآخر رمق، فدعاهم وقال: لأقتلنكم أجمعين أو لتصدقونني. فصدقوه الأمر، فقال: ويحكم هلا بَيَّنتم لي فأرى فيه رأيي؟ قالوا: منعنا الخوف. فتركهم. ولهَا عن دجلة حين غلبته[٢].

وكان ذلك سبب البطائح، ولم تكن قبل ذلك، وكانت الأرض كلها عامرة.

فلما كانت سنة ست من الهجرة أرسل رسول الله [ﷺ] عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى، فزاد الفرات والدجلة زيادة عظيمة لم ير قبلها ولا بعدها مثلها، فانبثقت البثوق، وانتسفت ما كان بناه كسرى، واجتهد أن يسكرها[1] فغلبه الماء، كما بيَّنا، ومال إلى موضع البطائح، فطما الماء على الزروع وغرق عدة طساسيج[٣]، ثم دخلت العرب أرض الفرس وشغلتهم عن عملها بالحروب واتسع الخرق.

فلما كان زمن الحجاج تفجرت بثوق أخر فلم يسدها مضارة للدهاقين؛ لأنه اتهمهم

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٨٩)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (٢/ ٣٦١).

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٩٠)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (٢/ ٣٦١، ٣٦٢)، وذكره أيضاً في «الوفا» (٢٣٣).

(٣) طساسيج: النواحي.

(1) في المخطوطة: يسكنها.

بممالأة ابن الأشعث، فعظم الخطب [فيها]، وعجز الناس عن عملها، فبقيت على ذلك إلى الآن.

وقال أبو سلمة بن عبد الرحمٰن بن عوف: بعث الله كسرى ملكاً وهو في بيت إيوانه الذي لا يدخل عليه فيه، فلم يرعه إلا هو قائماً على رأسه في يده عصاً بالهاجرة في ساعته التي يقيل فيها، فقال: يا كسرى، أتسلم أو أكسر هذه العصا؟ فقال: بهل بهل! وانصرف عنه، فدعا/ بحراسه وحجابه فتغيظ عليهم. ج١/٢٨٤/ط

وقال: من أدخل هذا الرجل؟، فقالوا: ما دخل علينا أحد ولا رأيناه! حتى إذا كان العام المقبل أتاه في تلك الساعة، وقال له: أتُسَلِّم أو أكسر العصا؟ فقال: بهل بهل! فكسر العصا ثم خرج. فلم يكن إلا تهوّر ملكه وانبعاث ابنه والفرس حتى قتلوه[(١)].

وقال الحسن البصري: قال أصحاب رسول الله ﷺ: يا رسول الله، ما حجة الله على كسرى فيك؟ قال: «**بعث إليه ملكاً فأخرج يده إليه من جدار بيته تلألأ نوراً، فلما رآها فزع فقال له: لم ترع يا كسرى! إن الله قد بعث رسولاً وأنزل [1]عليه كتاباً[1] فاتبعه تسلم دنياك وآخرتك**». قال: سأنظر[(٢)].

ذكر وقعة ذي قار وسببها

ذكروا عن النبي ﷺ أنه قال لما بلغه ما كان من ظفر ربيعة بجيش كسرى: «**هذا أول يوم انتصفت[2] العرب [فيه] من العجم وبي نصروا**»[(٣)]. فحفظ ذلك منه، وكان يوم الوقعة.

قال هشام بن محمد: كان عديّ بن زيد التميمي وأخوه عمار، وهو: أبيّ، وعمرو، وهو: سُميّ، يكونون مع الأكاسرة، ولهم إليهم انقطاع، وكان المنذر بن المنذر

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٩١)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (٢/ ٣٦٢، ٣٦٣)، وذكره أيضاً في «الوفا» (٢٣٧).

(٢) ذكره الهندي في «كنز العمال» (الحديث: ٣١٨٠٠) و(الحديث: ٣٠٤١٨)، وذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٩١)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (٢/ ٣٦٢)، وذكره أيضاً في «الوفا» (٢٣٥).

(٣) ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (الحديث: ٦/ ٢١١)، وذكره الهندي في «كنز العمال» (الحديث: ٣٠٣٠١)، وذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٩٣)، وذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٢/ ٢٠٧).

(1-1) في المخطوطة: كتاباً عليه.

(2) في المخطوطة: انتصرت.

لما ملك جعل ابنه النعمان في حجر عديّ بن زيد، وكان له غير النعمان أحد عشر/ ولداً، وكانوا يسمون: الأشاهب لجمالهم[١]. ج١/٧٠أ

فلما مات المنذر بن المنذر وخلف أولاده أراد كسرى بن هرمز أن يملك على العرب من يختاره، فأحضر عديّ بن زيد، وسأله عن أولاد المنذر، فقال: هم رجال: فأمره بإحضارهم، فكتب عديّ فأحضرهم وأنزلهم، وكان يفضل إخوة النعمان عليه، ويريهم أنه لا يرجو النعمان، ويخلو بواحد واحد، ويقول له: إذا سألك الملك أتكفونني العرب؟ فقولوا: نكفيكهم إلا النعمان، وقال للنعمان: إذا سألك الملك عن إخوتك فقل له: إذا عجزت عن إخوتي فأنا عن غيرهم أعجز، وكان من بني مرينا رجل يقال له: عديّ بن أوس بن مرينا، وكان داهياً شاعراً، وكان يقول للأسود بن المنذر: قد عرفت أني أرجوك وعيني إليك، وإنني أريد أن تخالف عديّ بن زيد، فإنه والله لا ينصح لك أبداً! فلم يلتفت إلى قوله[٢].

فلما أمر كسرى عديّ بن زيد أن يحضرهم، أحضرهم[1] رجلاً رجلاً، وسألهم كسرى/ أتكفونني العرب؟ فقالوا: نعم إلا النعمان. فلما دخل عليه النعمان رأى[2] رجلاً دميماً أحمر أبرش قصيراً، فقال له: أتكفيني إخوتك والعرب؟ قال: نعم، وإن[3] عجزت عن إخوتي فأنا عن غيرهم أعجز. ج١/٢٨٥ط

فملكه وكساه وألبسه تاجاً قيمته ستون ألف درهم، فقال عديّ بن مرينا للأسود: دونك فقد خالفت الرأي[٣].

ثم صنع عديّ بن زيد طعاماً، ودعا عديّ بن مرينا إليه، وقال: إني عرفت أن صاحبك الأسود كان أحب إليك أن يملك من صاحبي النعمان، فلا تلمني على شيء كنت على مثله، وإني أحب أن لا تحقد عليّ، وإن نصيبي من هذا الأمر ليس بأوفر من نصيبك، وحلف لابن مرينا أن لا يهجوه، ولا يبغيه غائلةً أبداً فقام ابن مرينا وحلف أنه لا

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٩٤).
(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٩٥).
(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٩٥).

(1) في المخطوطة: فاحضرهم.
(2) في المخطوطة: فرأى.
(3) في المخطوطة: فإن.

يزال يهجوه ويبغيه الغوائل، وسار النعمان حتى نزل الحيرة[١].

وقال ابن مرينا للأسود: إذا فاتك الملك فلا تعجز أن تطلب بثأرك من عدي، فإن معداً لا ينام مكرهاً، وأمرتك بمعصيته فخالفتني، وأريد أن لا يأتيك من مالك شيء إلا عرضته عليّ. ففعل.

وكان ابن مرينا كثير المال، وكان لا يخلي النعمان يوماً من هدية وطرفة، فصار من أكرم الناس عليه، وكان إذا ذكر عديّ بن زيد وصفه، وقال: إلا أنه فيه مكر وخديعة، واستمال أصحاب النعمان، فمالوا إليه، ووضعهم على أن قالوا للنعمان: إن عدي بن زيد يقول إنك عامله، ولم يزالوا بالنعمان حتى أضغنوه عليه، فأرسل إلى عديّ يستزيره، فاستأذن عديّ كسرى في ذلك، فأذن له.

فلما أتاه لم ينظر إليه حتى حبسه، ومنع من الدخول عليه، فجعل عديّ يقول الشعر وهو في السجن[٢].

ج١/٢٨٦/ط وبلغ النعمان قوله فندم/ على حبسه إياه، وخاف منه إذا أطلقه، فكتب عديّ إلى أخيه أبيّ أبياتاً يعلمه بحاله، فلما قرأ أبياته وكتابه كلم كسرى فيه، فكتب إلى النعمان، وأرسل رجلاً في إطلاق عديّ، وتقدم أخو عدي إلى الرسول بالدخول إلى عديّ قبل النعمان، ففعل. ودخل على عديّ، وأعلمه أنه أرسل لإطلاقه، فقال له عديّ: لا يخرج من عندي وأعطني الكتاب حتى أرسله، فإنك إن خرجت من عندي قتلني، فلم يفعل، ودخل أعداء عديّ على النعمان فأعلموه[1] الحال[2]، وخوفوه من إطلاقه، فأرسلهم إليه فخنقوه، ثم دفنوه[٣].

وجاء الرسول فدخل على النعمان بالكتاب، فقال: نعم وكرامة، وبعث[3] إليه بأربعة آلاف مثقال وجارية، وقال: إذا أصبحت ادخل إليه فخذه. فلما أصبح الرسول غدا إلى السجن فلم ير عدياً، وقال له الحرس: إنه مات منذ أيام. فرجع إلى النعمان وأخبره: أنه

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٩٦).
(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٩٧).
(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ٢٠٠).

(1) في المخطوطة: فاعطوه.
(2) في المخطوطة: المال.
(3) في المخطوطة: فبعث.

رآه[1] بالأمس ولم يره اليوم، فقال: كذبت! وزاده رشوة، واستوثق منه أن لا يخبر كسرى، إلا أنه مات قبل وصوله إلى النعمان[(١)].

قال: وندم النعمان على قتله، واجترأ أعداء عديّ على النعمان وهابهم هيبة شديدةٍ، فخرج النعمان في بعض صيده، فرأى ابناً لعدي يقال له: زيد، فكلمه[2]، وفرح به فرحاً شديداً واعتذر إليه من أمر أبيه، وسيَّره إلى كسرى ووصفه له، وطلب إليه أن يجعله مكان أبيه، ففعل كسرى. وكان يلي ما يكتب إلى العرب خاصة، وسأله كسرى عن النعمان، فأحسن الثناء عليه، وأقام عند الملك سنوات بمنزلة أبيه[(٢)].

وكان يكثر الدخول على كسرى، وكان لملوك الأعاجم صفة للنساء مكتوبة عندهم، وكانوا[3] يبعثون في طلب من يكون على هذه الصفة من النساء، ولا يقصدون العرب، فقال له زيد بن عديّ: إني أعرف عند عبدك النعمان من بناته وبنات عمه أكثر من عشرين امرأة على هذه الصفة.

قال: فتكتب فيهن، قال: أيها الملك، إن شر شيء في العرب وفي النعمان أنهم يتكرمون بأنفسهم عن العجم، فأنا أكره أن يتعنتهن، وإن قدمت أنا عليه لم يقدر على ذلك، فابعثني/ وابعث معي رجلاً يفقه العربية، فبعث معه رجلاً جلداً، فخرجا حتى بلغا الحيرة، ودخلا على النعمان، قال له زيد:/ إن الملك احتاج إلى نساء لأهله وولده، وأراد كرامتك فبعث إليك، قال: وما هؤلاء النسوة؟ قال: هذه صفتهن قد جئنا بها، وكانت[4] الصفة أن المنذر أهدى أنوشروان جارية أصابها عند الغارة على الحارث بن أبي شمر الغساني[(٣)].

ج١/٢٨٧/ط
ج١/٧٠/ب

وكتب يصفها: أنها معتدلة الخلق، نقية اللون والثغر، بيضاء، وطفاء[(٤)]، قمراء،

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ٢٠٠).
(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ٢٠١).
(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ٢٠٢).
(٤) الوطفاء: غزيرة الإهاب وشعر الحاجبين.

(1) في المخطوطة: رأى.
(2) في المخطوطة: وكلمه.
(3) في المخطوطة: فكانوا.
(4) في المخطوطة: كان.

دعجاء[١]، حوراء[٢]، عيناء[٣]، قنواء[٤]، شماء، شمراء، زجاء، برجاء، أسيلة الخد، شهية القد، جثيلة الشعر، بعيدة مهوى القرط، عيطاء، عريضة الصدر، كاعب الثدي، ضخمة، مشاشة المنكب والعضد، حسنة المعصم، لطيفة الكف، سبطة البنان، لطيفة طي البطن، خميصة الخصر، غرثى الوشاح، رداح القبل[٥]، رابية الكفل، لفّاء الفخذين، ريّا الروادف، ضخمة المنكبين، عظيمة الركبة، مفعمة الساق، مشبعة الخلخال[٦]، لطيفة الكعب والقدم، قطوف المشي[٧]، مكسال الضحى، بضة[٨] المتجرد، سموع للسيد، ليست بخلساء ولا سفعاء[٩]، ذليلة الأنف، عزيزة النفر، لم تفد في بؤس، حنينة، رزينة، زكية، كريمة الخال، تفتخر بنسب أبيها دون فصيلتها، وبفصيلتها دون جماع قبيلتها.

قد أحكمتها الأمور في الأدب، فرأيها رأي أهل الشرف، وعملها عمل أهل الحاجة؛ صناع الكفين، قطيعة اللسان، زهرة الصوت، تزين البيت، وتشين العدو، إن أردتها اشتهت، وإن تركتها انتهت، تحملق عيناها، وتحمر وجنتاها، وتدبدب شفتاها، وتبادرك الوثب[١٠].

فقبلها كسرى وأمر بإثبات هذه الصفة، فبقيت إلى أيام كسرى بن هرمز، فقرأ زيد هذه الصفة على النعمان، فشق ذلك عليه، وقال لزيد، والرسول يسمع: ما في عين السواد وفارس ما تبلغون حاجتكم! فقال الرسول لزيد: ما العين؟ قال: البقر. وأنزلهما يومين، وكتب إلى كسرى: إن الذي طلب الملك ليس عندي. وقال لزيد: اعذرني عنده[١١].

فلما عاد إلى كسرى قال لزيد: أين ما كنت أخبرتني؟ قال: قد قلت للملك،

---

(١) الدعجاء: شديدة سواد العين مع شدّة بياض البياض.
(٢) الحور: سوداء العين كلها مثل الظباء.
(٣) العين: سعة العين.
(٤) القنواء: ارتفاع في أعلى الأنف، واحد يداب في وسطه وسبوغ في طرفه.
(٥) الرداح: العجزاء، الثقيلة الأوراك، التامة الخلق.
(٦) مشبعة الخلخال: مسمنة الساقين.
(٧) القطوف: تقارب الخطو.
(٨) البضة: الناعمة.
(٩) السفغاء: السوداء.
(١٠) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ٢٠٢ ـ ٢٠٤).
(١١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ٢٠٤).

وعرفته بخلهم بنسائهم على غيرهم، وأن[1] ذلك لشقائهم وسوء اختيارهم، وسل هذا الرسول عن الذي، قال: فإني أكرم الملك عن ذلك، فسأل الرسول، فقال: إنه قال: ما في بقر السواد ما يكفيه حتى يطلب ما عندنا؟ فعرف الغضب في وجهه، ووقع في قلبه، وقال: رُبَّ عبدٍ قد/ أراد ما هو أشد من هذا، فصار أمره إلى التباب[1].

ج١ / ٢٨٨/ط

وبلغ هذا الكلام النعمان، وسكت كسرى على ذلك أشهراً والنعمان يستعد، حتى أتاه كتاب كسرى يستدعيه.

فحين وصل الكتاب أخذ سلاحه وما قوي عليه، ثم لحق بجَبَلَيْ طيء، وكان متزوجاً إليهم، وطلب منهم أن يمنعوه، فأبوا عليه خوفاً من كسرى، فأقبل وليس أحد من العرب يقبله، حتى نزل في ذي قار في بني شيبان سراً، فلقي هانىء بن مسعود بن عمرو الشيباني، وكان سيداً منيعاً، والبيت من ربيعة في آل ذي الجدين، لقيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن ذي الجدين.

وكان كسرى قد أطعمه الأُبُلة، فكره النعمان أن يدفع إليه أهله لذلك، وعلم أن هانئاً يمنعه مما يمنع[2] منه أهله، [فأودعه أهله] وماله، وفيه أربعمائة درع، وقيل: ثمانمائة درع، وتوجه النعمان إلى كسرى فلقي زيد بن عدي على قنطرة ساباط، فقال: انج نعيم، فقال: أنت يا زيد فعلت هذا؟ أما والله لئن انفلت لأفعلن بك ما فعلت بأبيك. فقال زيد: امض نعيم، فقد والله وضعت لك[3] أخية لا يقطعها المهر الأرن.

فلما بلغ كسرى أنه بالباب بعث إليه فقيده، وبعث به إلى خانقين، حتى وقع الطاعون فمات فيه، قال: والناس يظنون أنه مات بساباط ببيت الأعشى وهو يقول:

فداك وما ينجي من الموت ربه ... بساباط حتى مات وهو محرزق[2]

وكان موته قبل الإسلام، فلما مات استعمل كسرى إياس بن قبيصة الطائي على

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ٢٠٥).
(٢) محرزق: أي محبوس.

(1) في المخطوطة: فإن.
(2) في المخطوطة: منع.
(3) في المخطوطة: لك عنده.

الحيرة، وما كان عليه النعمان[١].

وكان كسرى اجتاز به لما سار إلى ملك الروم، فأهدى له هدية، فشكر ذلك له وأرسل إليه، فبعث كسرى بأن يجمع ما خلفه النعمان ويرسله إليه، فبعث إياس إلى هانىء بن مسعود الشيباني يأمره بإرسال ما استودعه النعمان، فأبى هانىء أن يسلم ما عنده، فلما أبى هانىء غضب كسرى، وعنده النعمان بن زرعة التغلبي، وهو يحب هلاك بكر بن وائل، فقال لكسرى: أمهلهم حتى يقيظوا ويتساقطوا على ذي قار تساقط الفراش في النار، فتأخذهم كيف شئت.

ج١/٢٨٩/ط فصبر كسرى حتى جاؤوا نحو ذي قار،/ فأرسل إليهم كسرى النعمان بن زرعة يخيرهم واحدةً من ثلاث: إما أن يعطوا بأيديهم، وإما أن يتركوا ديارهم، وإما أن يحاربوا. فولوا أمرهم حنظلة بن ثعلبة العجلي، فأشار بالحرب، فآذنوا الملك بالحرب[٢].

فأرسل كسرى إياس بن قبيصة الطائي أمير الجيش، ومعه مرازبة الفرس، والهامرز النسوي وغيره من العرب: تغلب، وإياد، وقيس بن مسعود بن قيس بن ذي الجدين، وكان على طف/ سفوان، فأرسل الفيول، وكان قد بعث النبي ﷺ ، فقسَّم هانىء بن مسعود دروع النعمان وسلاحه، فلما دنت الفرس من بني شيبان قال هانىء بن مسعود: يا معشر بكر، لا طاقة لكم في قتال كسرى، فاركنوا إلى الفلاة. ج١/٧١/أ

فسارع الناس إلى ذلك، فوثب حنظلة بن ثعلبة العجلي وقال: يا هانىء، أردت نجاتنا فألقيتنا في الهلكة، ورد الناس وقطع وضن الهوادج، وهي الحزم للرحال، فسمي: مقطع الوضن، وضرب على نفسه قبة، وأقسم أن لا يفر حتى تفر القبة، فرجع الناس واستقوا ماء لنصف شهر. فأتتهم العجم، فقاتلهم بالجنود، فانهزمت العجم خوفاً من العطش إلى الجبابات[1]، فتبعتهم بكرٌ، وعجلٌ، وأبلت يومئذٍ بلاءً حسناً، اصطفت[2] عليهم جنود العجم، فقال الناس: هلكت عجل، ثم حملت بكر، فوجدت عجلاً تقاتل، وامرأة منهم تقول:

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/٢٠٦)، وذكره الأصفهاني في «الأغاني» (٢/١٠٥)، (٢/١٢٨)، وذكره الأعشى في «ديوانه» (١٤٧).

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/٢٠٧).

---

(1) في المخطوطة: الحمامات.

(2) في المخطوطة: واصطفت.

إن يظفروا يحرزوا فينا الغرل أيها فداءٌ لكم بني عجل

فقاتلوهم ذلك اليوم، ومالت العجم إلى بطحاء ذي قار خوفاً من العطش، فأرسلت/ إياد إلى بكر، وكانوا مع الفرس، وقالوا لهم: إن شئتم هربنا الليلة، وإن شئتم أقمنا، ونفرّ حين تلاقون الناس، فقال: بل تقيمون وتنهزمون إذا التقينا[1]. ج١/٢٩٠/ط

وقال زيد بن حسان السكوني، وكان حليفاً لبني شيبان: أطيعوني واكمنوا لهم. ففعلوا. ثم تقاتلوا وحرّض بعضهم بعضاً. وقالت ابنة القرين الشيبانية:

إيهاً بني شيبان صفاً بعد صف إن تهزموا يصبغوا فينا القلف[2]

فقطع سبعمائةٌ من بني شيبان أيدي أقبيتهم من مناكبهم، لتخف أيديهم لضرب السيوف، فجالدوهم، وبارز الهامرز، فبرز إليه برد بن [حارثة] اليشكري، فقتله برد، ثم حملت ميسرة بكر وميمنتها، وخرج الكمين، فشدوا على قلب الجيش، وفيهم إياس بن قبيصة الطائي، وولت[1] إياد منهزمة كما وعدتهم، فانهزمت الفرس، واتبعتهم بكر تقتل ولا تلتفت إلى سلب وغنيمة. وقال الشعراء في وقعة ذي قار فأكثروا[3]/. ج١/٢٩١/ط

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ٢٠٨).

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ٢٠٩، ٢١٠)، وذكره البخاري في «التاريخ الكبير» (٢/ ١٠٦) و(٨/ ٣١٣)، وذكره ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٧/ ٥٤).

(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (٢/ ٢١٠).

(1) في المخطوطة: فولت.